

بريطانيا في هذه الحرب

سلسلة عربية جديدة

أشهر المعارك وأشهر الجيوش

الجزء الاول

الجيش الثامن

نقله عن عدة مصادر انجليزية

الاستاذ محمد ممدى

راجعته وعلق عليه

الصاغ عبد الفتاح ابراهيم

خريج كلية أركان الحرب الملكية بالقاهرة

تقدمة

عندما عرض على الصديق الألمى الأستاذ محمد حمدى أن اراجع كتابه عن الجيش الثامن ، وأن أعقب على ما يصح التعقيب عليه ، بما جاء فيه من دروس عسكرية ، لم أنردد لحظة واحدة فى قبول القيام بهذا العمل . ذلك لأننى أعتقد أن قصة الجيش الثامن كتاب لا يصح أن تخلو منه مكتبة عسكرية أو مدنية فى العالم كله ، لا فى الشرق الاوسط فحسب ، . وهى — كدراسة — لا ينبغي أن يغفل مطالعتها فرد ، مدنيا كان أم عسكرياً ، أولاً ، لأنها — كتاريخ — ترتبط وثيقا بتاريخ الشرق الاوسط طوال الاعوام الثلاثة الماضية . ، وثانياً لأن التجارب التى جاءت وليدة هذه المعارك قد انتهت الى تقرير اصول فى فن القتال فى الصحراء لا يمكن أن تعدل الا إذا شهدت هذه الأرض حرباً أخرى — لا قدر الله — يمكن أن يتبدل فيها الاستخدام التكتيكي للأسلحة والأفراد على صورة غير تلك التى جاءت بها هذه الحرب ، فمعارك الجيش الثامن — أوقصة قتال الصحراء فى غرب مصر بين العلمين وطرابلس على متباين مراحلها — أو طوال تأرجح بندول الساعة بتعبير أصح — يمكن أن تكون المرجع القيم لطلاب أى معهد عسكري أولى أو عال على حد سواء ..

على أن الشئ الذى أود أن أشير اليه هو أن هذا التعقيب العسكري الذى

سفته بين سطور الأصل قد أوقف على ابضاح الدروس العسكرية دون تقديم
لآراء مدرسة خاصة . . وقد قصدت منه توجيه النظر الى بعض الدروس التي
تمكن القارىء العسكرى من أن يراجع الكثير من الحديث في
كتب التعليم .

قرأت كتاب « الجيش الثامن » في صفحاته الطويلة بالانجليزية . . ثم
قرأته بعد أن نقله صديق الأستاذ حمدى الى العربية . . ثم أعدت تلاوته وهو
يخرج من بين أيدي عمال صف الحروف ، ثم قرأته مرة رابعة وهو صفحات
تقذف بها آلة الطباعة ، وفي كل مرة كنت أزداد إعجاباً بالكتاب واعتقاداً
بأنه من واجب كل فرد أن يقرأه ولا سيما أبناء مصر التي حدثت جل معاركه
عند جدارها الغربى . .

جزى الله صديقى حمدى عن نقله هذا الكتاب أحسن الجزاء

القاهرة . يوليو ١٩٤٤

عبد الفتاح ابراهيم
صاغ

الفصل الاول

ميلاد جيش

تضمن تقرير ايطالى رسمى عن معارك خط مارت ريكاريت حديثاً عن الجيش الثامن يمكن أن يقدم صورة وصفية سريعة لهذا الجيش، ونصه كما يلى:

- « يمثل الجيش الثامن أقوى قوة حديثة يمكن أن توجد اليوم فى مختلف ،
- « مسارح هذه الحرب العالمية . ومشاة هذا الجيش مدربون إلى درجة ،
- « كبيرة ومتشبهون بروح قتال كما أنهم مزودون بأسلحة وأدوات أكثر ،
- « وأفضل مما يمكن أن يكون لدى أى مشاة فى العالم ، والمدفعية الانجليزية ،
- « منظمة على أكمل وجه ومزودة بمدافع لا يفضلها غيرها ، والوحدات ،
- « المدرعة بين أفضل ما فى العالم من وحدات من هذا الطراز ، وقادة هذا ،
- « الجيش والضباط أركان الحرب به اختيروا بعناية وقد اثبتوا كفايتهم ،
- « فى أرض المعركة ، وأخيراً فإن للجيش الثامن نحو عشرة آلاف عربية ،
- « ميكانيكية وتحت امرته أسطول بحرى وآخر جوى ، والتعاون بين القوات ،
- « الجوية والبرية يمكن أن يقدم كأحسن مثل لهذا النوع من العمليات ،
- « المشتركة ،

والواقع أن تقدير عدد العربات الميكانيكية للجيش الثامن — على ما ورد فى هذا التقرير — يقل كثيراً عن الحقيقة. أما ما عدا هذا مما تضمنه الحديث فقيمى بقليل من التعقيب . إذ أن كثيراً من قادة وحدات الجيوش البريطانية الأخرى كانوا فى ذات مستوى الكفاءة التى بدت من قواد وحدات

الجيش الثامن ، ، ولعل المعقب الايطالى كان متأثراً بحقيقة أنه لا شىء يمكن أن يحفظ للجيش المهزوم مكانته أكثر من المسدح الذى يوجه لخصمه المنتصر ! إلا أن هذا الحديث فى الواقع — عندما كتب فى ابريل — كان صحيحاً وقد بقى حقيقة لا جدال فيها منذ ذلك التاريخ ، بل لعل الجيش الثامن كان فى رأى القوات والجيش التى واجهته على مسرح الحرب آلة حربية أقوى وأصلب من فيلق أفريقيا الألمانى ...

على أن الجيش الثامن لم يكن كذلك دائماً ... فقد ولد فى لحظة من أخرج التحفظات فى تاريخ بريطانيا وكان وليد جيش النيل الذى دمر به الجنرال ويفل الجيش الايطالى فى ليبيا ثم كاد هو نفسه أن يدمر فى الهجوم المضاد الذى قام به الألمان عندما أضعف جيش النيل بما أرسل منه للوفاء بالوعد الذى قطع لليونان . ومسألة إيقاف الألمان عند الحدود المصرية وعند المناطق الخارجى لدفاعات طبرق ، لا يصح أن تعزى فقط إلى أولئك الذين كانوا فى غرب مصر وإنما لهم ولأولئك الذين كانوا يتولون الأمر فى بريطانيا وكان لديهم من الجسرة وبعد النظر ما زين لهم إرسال امدادات إلى الشرق الأوسط فى وقت كانت لانزال فيه بريطانيا مهددة بالغزو ، وعلى الرغم من أن ما كان يستطيع إرساله على خطوط مواصلات تمتد اثني عشر ألف ميل لم يكن ليكمل فى مقدور الجيش الثامن أن يظل قوة ضرب صلبة لعدة شهور ، وفى الوقت الذى كان يجب فيه — أيضاً — حرمان المحور من التسرب إلى سوريا ، وانقاذ العراق من ثورة عمال المحور ، وفى وقت كان التهديد المتزايد من ناحية اليابان يتطلب إرسال امدادات للشرق الأقصى ، وفى وقت بات من الضرورى فيه بعد هجوم الألمان على روسيا فى يونيو عام ١٩٤١ ، تحسين ووقاية الطريق من الخليج الفارسى إلى القوقاز. هذه كلها أشياء كان من

الضرورى القيام بها فى وقت كان أغلب سكان العالم يتوقعون نصراً مبكراً
للبحور ١

وهناك عامل آخر يجب أن يقدر تماماً عند الحديث عن الأعمال التى
ينيط بالجيش الثامن تحقيقها، ذلك العامل هو طبيعة الأرض التى كان لابد أن
تدور عليها رحى القتال. ولا تعطى الرسوم التى ظهرت عن الصحراوات أية
صورة حقيقية للصحراء الغربية، ففيها رمال أقل مما يتوقع الفرد والعواصف
الرملية التى يكثر ذكرها إنما هى سحب من الأنربة لا الرمال، والكثير من
المناطق التى لا يمكن اجتيازها — اللهم إلا بعد المطر — تشبه الصخر المسطح
أكثر مما تشبه أى شئ آخر، ولا توجد أية (أغراض) أرضية اللهم إلا
متخفضات قريبة الغور يمكن الدبابات أن تتوقف خلفها لإطلاق النيران
وهى مستترة من الأمام.

وأهم ما يميز الصحراء الغربية هو قلة المياه. ولهذا مد خط أنابيب على
طول الطريق من الاسكندرية إلى طبرق تقريباً. ومياه هذه الانابيب — بالإضافة
إلى بعض المياه المملحة التى يمكن الحصول عليها من الآبار المملحة — جعلت فى
الامكان تخصيص جالون لكل فرد لمتباين احتياجاته، وإن كان ما وصل
الجنود فعلاً فى الغالب، أقل من ذلك.

ولم يكن الجو رديشاً بل إن الكثيرين كانوا يرون أنه صحى فيما عدا
الوقت الذى تهب فيه رياح الخماسين.

والواقع أن كل شئ فى الصحراء لم يكن عادياً، الأمر الذى كان يتطلب
أن يدرب الجنود بضعة أسابيع على الأحوال المحلية حتى يصيروا صالحين
للقتال فى الصحراء. ويمكن أن ندرك شيئاً من هذه الأحوال من مثلين صغيرين:
أولهما أنه فى هذه الصحراء المهدومة السائر كان من الضرورى أن تعمل كل

التحركات ليلاً ، والثاني هو أن أفراد طاقم كل عربة كان يجب أن يعرفوا كيف يعدون طعامهم لأن الانتشار والتوزيع كان هو التشكيل الطبيعي . ولا يمكن أن توصف الصحراء بأحسن مما وصفها به الجنرال فون رافينستين قائد الفرقة ٢١ الألمانية المدرعة في حديث أفضى به عندما أسرد إن الصحراء هي جنة بالنسبة للرجل الذي يوجه العمليات ولكنها جهنم بالنسبة للرجل الذي يتولى الامداد والتأمين ، ولهذا كان من المدهش حقاً أن يستطيع الجنرال أوكنلك القيام بالهجوم في نوفمبر عام ١٩٤١

ففي المدة من فبراير إلى نوفمبر كان المحور قد أفلح في حشد قوة هائلة في ليبيا مكونة من فرقتين مدرعتين المائيتين (٢١ و ١٥) والفرقة ٩٠ الخفيفة الألمانية ، وفرقة ايطالية مدرعة (آرييتي) وسبع فرق ايطالية من المشاة (١٧ بافيا — ٢٥ بولونا — ٢٧ بارشيا — ٦٠ سايراطا — ١٠١ سايراطا — ١٠١ تريديستا — ١٥٢ تورنتو) (الاخيرتان ميكانيكيتان) ، وكل هذه القوات عدا الفرقة ٦٠ الايطالية قد نقلت بالبحر بين مارس ومايو عندما كان الاسطول الانجليزى مشغولاً في المياه اليونانية

ولم ينقل الالمان بين مايو ونوفمبر أى وحدات كاملة فقد كانت سفن المحور مشغولة بنقل التووين والذخيرة ومعدات الحرب ، وبالرغم من الخسائر التي تكبدها الانجليز في اليونان فان الاسطولين البحري والجوى دمرا ثلث أو نصف حمولة سفن المحور ، ونتيجة لهذا لم يستطع رومل منذ وقف في ابريل ، أن يجمع قوة تكفى للهجوم قبل نوفمبر ، وبالرغم من طول خطوط مواصلات الانجليز فلا شك أنهم ربحوا معركة السبق في الامداد ، لأن هجوم أوكنلك في ١٨ نوفمبر سبق الهجوم الذي كان يعده رومل بخمسة أيام . ولهذا يمكن القول بأن الهجوم الانجليزى قد أمسك بالالمان وأوضاع جنودهم

أكثر استعداداً للهجوم منها للدفاع ، فقد كانت كل قوات رومل تقريباً بما فيها قواته المدرعة، في المناطق الأمامية ، وكانت له أربع فرق من المشاة عند طبرق أما احتياطيه العام ، المكون فقط من فرقتي تريستا وآرقتي الإيطاليتين فكان عند الهضبة الصحراوية العليا

وكان الجيش الانجليزى منظماً للهجوم في قوانين أساسيين : الفيلق ١٣ تحت قيادة الجنرال جودوين اوستن وكان مكوناً من الفرقة الثانية النيوزيلاندية والفرقة الرابعة الهندية واللواء الأول من دبابات الجيش ، والقول الثاني من الفيلق ٣٠ تحت قيادة الجنرال توري وكان مكوناً من الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الأولى جنوب افريقيا ولواء الحرس ٢٢٠ . أما في طبرق فكانت توجد الفرقة ٧٠ ولواء بولندي واللواء المدرع ٣٢

هلى أنه يحسن أن نتوقف قليلاً للنحدث عن القوات المدرعة ، في الفرقة السابعة المدرعة التي كانت ستحتل عبء الاصطدام بمدفعات الألمان والعطليان . كانت مكونة من ثلاث لواءات مدرعة عدا مجموعة الامداد السابعة التي كان يقودها البريجادير جوك كامبل الذي نال وسام صليب فيكتوريا في المعركة ، وفي هذه اللواءات الثلاث كانت توجد ٤٥٥ دبابة منها ١٦٥ خفيفة (من النوع الذي لا يعتبر الآن أكثر من عربة استكشاف) والباقي من الدبابات المتوسطة . فاذا كان لزاماً أن نضم إلى هذا كل دبابة كان يملكها الانجليز وجب إضافة ١٢٠ دبابة من طرازى ما تيلدة وفالاتين في لواء دبابات الجيش و ٩٠ دبابة من ذات النوع في اللواء ٣٢ المدرع الذي في طبرق .. وبذلك يمكن القول أنه كان في الجيش الثامن ٦٦٥ دبابة إزاء ٥٠٥ دبابة لدى المحور . ولكن المقارنة العددية تعطى صورة غير صحيحة ، فإن أكثر من نصف دبابات الألمان كانت (مارك ٣ أو ٤) وهذه أقوى تسليحاً ودروعاً مما كان لدى الانجليز في

ذلك الوقت ، ولم يكن في الدبابات الانجليزية أى مدفع أثقل من المدافع ٢ رطل بينما كانت الدبابات الألمانية لا تطلق مدافعها قنابل أقل من أربعة ارطال ونصف واثقل قنابلها زنة ٨٣ رطل ، والجرأة والمهارة لا توضع موضع المقارنة لاعطاء أفضلية في قوة الضرب ، ولهذا فان نجاح الجيش الثامن في هزيمة قوات المحور المدرعة يعتبر معجزة أساسها الشجاعة البشرية والقدرة العملية ، وكان على الفيلق ٣٠ أيضاً واجب حماية الجنب الأيسر للفيلق ١٣ غير المدرع. فاذا أسقطنا من حسابنا الفيلق ١٣ والدبابات التى فى طريقه، لا يمكن القول بان الفيلق ٣٠ كان فى قوة تمكنه من القيام بواجبه المزدوج ولا يمكن أن يكون الحديث عن المعركة كاملاً إذا أغفلنا محاولة أرباك المحوريين بالإغارة على مركز رياسة رومل الذى كان على بعد ٢٠٠ ميل الى الخلف، وقد ألقى عبء هذا على عاتق الكولونيل كيبس والكولونيل (الآن مييجر جنرال) لايكوك وخمسة ضباط آخرين ثم ٥٣ صف وعسكري. وقد نقل هؤلاء فى الغواصتين (ثورباى وتايزمان) على طول الساحل إلى مكان عين للنزول ، وقد كان الجو خشناً ولكن مع هذا أمكن انزال كيبس ولايكوك وضابطين ثم أغلب الصف والعساكر فى المكان المعين حيث بقى لايكوك وثلاثة من الجنود، وبدأ كيبس والسكبتن كامبل والملازم كوك و ٢٥ صف وعسكري رحلتهم الى مركز رياسة رومل فى بيداليتوريا على مسافة ١٨ ميلاً. ولم يكن العمل هيناً ولا سيما فى جو مخيف ولهذا لم يلبث الأدلاء العرب أن رفضوا المسير وكان على كيبس ورجاله أن يتابعوا السير وحدهم حتى وصلوا إلى قرابة الاميال العشرة من بيداليتوريا وهناك التقوا بنفر من الأعراب أخبروا كيبس بأن مركز رياسة رومل ليس فى بيداليتوريا بل فى سيدى رافع، ولحسن الحظ صدق كيبس هذا النبأ وصحبهم الى قيد مئات الياوردات من المنزل ...

وأعد كيس الجماعات السائرة ونظام كل شيء ثم قبع منتظراً ساعة الصغير —
الدقيقة الأخيرة قبل منتصف الليل — وفي تمام الوقت بدأ كيس وكامبل
وضابط صف واحد عملية اقتحام المنزل ولكنه لم يجد أى طريق خلفى ،
كانت الأبواب والنوافذ محكمة لا يمكن انتزاعها دون ضجة ولكن كيس
سار بجراحة إلى الباب الامامى وطرقه بقبضة يده ثم صاح بالامانية طالباً
الدخول .

ولم يكد الحارس يفتح الباب حتى أطلق كيس عليه الرصاص ثم قفز
من فوق جثته إلى الداخل ، وكان الامر يتطلب العمل بسرعة قبل أن يحزر
الألمان بأن المهاجمين ثلاثة فقط ، وفي الغرفة الأولى فى الطابق الاسفل كان جمع
من الضباط والجنود ، وعندما أطلق كيس الرصاص من مسدسه بسرعة ، بعث
كامبل بقبيلة يدوية إلى وسط الغرفة ... وبقي الجاويش تيرى يسيطر على السلم
الذى يصعد الى الطابق العلوى ببندقية التومى فحال بين جمع غفير من الضباط
كان يندفع هابطاً إلى الطابق الأرضى ، وفي الغرفة الثانية كان النور مطفأ
ولكن كانت الانفاس التى تلهث تدل على وجود أشخاص خاص بالغرفة ،
وعندما فتح كيس الباب قوبل بسيل من الرصاص فسقط إلى الارض ، وأفرغ
الجاويش تيرى ببندقية تومى وسط الغرفة ، وقذف كامبل بقبيلتين يدويتين
نم حمل الرجلان السكولونيل كيس إلى الخارج حيث مات بعد دقائق
قليلة ، وجاءت الجماعات السائرة فتدفقت النوافذ بقنابل اليد ، وإذ ذاك كان
الألمان قد أربكوا تماماً ... وفي غمرة الرصاص المتبادل كسرت ساق كامبل
فترك مكانه بعد أن اطمأن إلى أن الآلة التى تزود رياسة رومل بالكهرباء
قد نسفت .

ولا شك أن الغرض الاساسى من الإغارة لم يتم ، لأن رومل لم يكن بالمنزل آنذاك إذ كان فى حفل لعيد الميلاد ، ولسكن مركز الرئاسة — دون جدل . — أربك تماماً ، فقد قتل منه عدد كبير بينهم أربعة من كبار ضباط أركان الحرب الالمان وقد ووريت جثثهم التراب إلى جانب جثمان الكولونيل كيس .

وقد جاء فى رسالة أخيرة بعث بها كيس إلى انجلترا : (فإذا نجح العمل سواء عدت أو لم أئخذ ، فإنها ستزيد من قوتنا وستساعد قضيتنا) ، ويمثل هذه الروح العالية بدأ الجيش الثامن المعركة ..

الفصل الثانى

المعركة تبدأ

الصعاب فى سبرى رزبو

كانت خطة الجيش الشامل أشمل وأوسع مما يبدو ، فان الغرض الذى عين لقائده (الجنرال كستنجهام) كان أن يطرد المحور من برقة ، ولإدراك هذا الغرض رأى أن يدور بالفيلق ٣٠ فى دورة واسعة من منطقة مادلينا ثم للشمال نحو طبرق ، على أن يخرج قوات العدو المدرعة الى المعركة ويمزقها ، فاذا فعل الألمان بمدركاتهم ما أريد منهم أن يفعلوا ، كان على الفيلق ١٣ أن يقوم بالهجوم للشمال لعزل البردية والسلوم ، فاذا انتصر الفيلق ٣٠ على قوات العدو المدرعة بعث قائده بالاصطلاح المتفق عليه لقوات طبرق لتخرج من مواقعها المحاصرة ، وبين المطارق الثلاث يمكن أن تدمر قوات المحور عن آخرها .

وسار العمل فى البداية سيراً حسناً ، وقد فوجئ الألمان بهجوم الفيلق ٣٠ يوم ١٨ يناير وبقي رومل ثمانية وأربعين ساعة وهو يظن أن الانجليز يقومون باستكشاف على نطاق واسع ، على أن هذا الخطأ لم يكن فى جملته حذره ، إذ كان سبباً فى عدم تقبله المعركة على الفور — كما كان مقصوداً — وقد ظن أن التقدم السريع إلى قبر صالح (٩٠ ميلاً) كاف لإثارته ولكن

الواقع أن هذه الأرض لم تكن لها أهمية كبيرة بالنسبة له (كان الأصلح لو سار الجيش الثامن مباشرة إلى العدم أر سيدى رزىق حيث كان رومل يرغم على القتال لأول وهلة) وتم التقدم فى اليوم الاول تحت سائر من طائرات القتال دون أى حادث

وفى الصباح التالى قرر كاتنجهام الذى كان يتحرك مع مركز رياسة الفيلق ٣٠ (لاحظ تواجد القائد فى ميدان القتال وأهمية هذا فى سرعة سيطرته على الموقف) أن تتابع القوات المدرعة تقدمها للشمال الغربى ونتيجة لهذا اشتبك اللواء الرابع المدرع مع نحو ستين دبابة المانية عند بير جبنى وقاتل اللواء الثانى المدرع فى معركة عند بير الجوبى دمر فيها ٤٥ دبابة الدحور أغلبها ايطالية .

وقرب الظهر بدأت الفرقة الأولى (جنوب أفريقيا) تحركها للشمال نحو الدودة ، واندفع اللواء السابع المدرع بعد الظهر بجراة إلى سيدى رزىق حيث احتل ألى الدبابات السادس المطار ونجح فى تدمير ١٩ طائرة من ٣١ كانت به ، وبالكاد أفلحت طائرتان فى الهرب .

وادر ك رومل أن عملية الفيلق ٣٠ هى هجوم واسع المدى . ولهذا قرر أن يجمع بين الفرقة ٢١ بانزر وفرقة آرييتى غربى بير الجوبى ، على أن يتقدم بهما للشرق فى الوقت الذى تتقدم فيه الفرقة ١٥ بانزر للغرب من منطقة سيدى عمر ، وبهذا الاتصال يمكن إفناء القوات الانجليزية المتقدمة ، ونتيجة لهذه الاتصالات حدثت معركة سيدى رزىق الأولى

وبينما كان رومل يوم ٢٠ نوفمبر يجمع أمره كان الفيلق ٣٠ يقوى مواقعه فى سيدى رزىق ، وفى الصباح صد اللواء السابع والمدفعية الخيالة الملكية مجرماً مضاداً للعدو قصد به الى اعادة الاستيلاء على المطار ، ووصلت

مجموعة الامداد السابعة بعد ساعات قليلة إلى سيدى رزىق ، وقد وجد أن العدو يحتل الهضبة بقوة كبيرة ولكن كان الاعتقاد قوياً بأنه يمكن التغلب على دفاعات العدو. ولهذا ارسلت الاشارة لحامية طبرق لبدء الخروج في الصباح التالى ، وفى هذا الوقت كان اللواء الخامس من جنوب أفريقيا (فى طريقه لانتاذ طبرق) قد عطل من تقدمه هجوم العدو الجوى وصعوبة التحرك ليلا فى الصحراء المعدومة الاغراض الارضية)

وفى الصباح الباكر بدا أن قوات كبيرة للعدو تتحرك من الجنوب لمهاجمة سيدى رزىق ، ولكن رغم هذا تابع جنود البريجادير كامبل علمهم لتطهير الهضبة الشمالية والتقدم عبر طريق كابوتزو ، للاتصال بقوة طبرق عند الدودة ، وقامت كتيبة البنادق الستون وسرية من لواء البنادق باقتحام الهضبة وحاول ألاى الدبابات السادس اجتياز الدرب ولكن كل الدبابات التى قامت بهذه المحاولة دمرت ، وأثناء ذلك كان الالمان يتقدمون بسرعة من الجنوب ، وإن كان هذا التقدم قد اوقف بجرأة ، بواسطة اللواء السابع المدرع الذى كان قد تناقص إلى عشرين دبابة فقط . وبمجموعة الامداد التى يتودها البريجادير كامبل ، وأخيراً أمكن إلى حد ما ابقاء المراقع الانجليزية متصلة بسبب جرأة كامبل وقيامه وهو فى عربة مكشوفة بالمجوم المضاد بالاثنتى عشرة دبابة الباقية من الاالاى السادس وبعض المدفعية الخفيفة الحركة والمضادة للدبابات .

وجاء صباح الثانى والعشرين والموقف — على ما يبدو — أحسن حالا. فقد وصل اللواءان الرابع والثانى والعشرون المدرعان . واستطاع الجنرال جوت (قائد الفرقة السابعة المدرعة) أن يهي لها مكانا فى ساحة المعركة يمكنها من معاونة مجموعة الامداد السابعة ، وكانت كتيبة ترانسفال الاسكتلندية (من

لواء جنوب افريقيا) قد اقتحمت الهضبة الجنوبية قبل ذلك وباتت تشرف على مطار سيدى رزيق . وقبيل المساء بدأت معركة بين الدبابات : الالمان يحاولون الوصول الى مجموعة الامداد السابعة ، واللواءان الرابع والثاني والعشرون يصعدانهم للوراء ... وقد أمكن إيقاف الالمان عند الغسق ، ولكنهم استطاعوا — أثناء الليل — أن يحشدوا دباباتهم الباقية وأن يتابعوا الهجوم عند شروق الشمس وبذلك أرغموا مجموعة الامداد السابعة — رغم ماتكبدوا من خسائر فادحة — على أن تجلو عن مطار سيدى رزيق

وأثناء هذا ، كان اللواء الخامس من جنوب افريقيا يحشد ويعد مواقعه على الهضبة الجنوبية ، مستنداً إلى ما بقى من دبابات اللواء ٢٢ المدرع . وفي صباح الثالث والعشرين قام الالمان مرتين بالهجوم بالدبابات وفي المراتين أمكن صد الهجوم ، وجاء المساء المبكر بهجوم عنيف بالمشاة والدبابات تحت سائر من غلالة نيران المدفعية ، وأمكن أيضاً صد هذا الهجوم ، ولكن في اللحظة التي ظن فيها جنود جنوب افريقيا أن العدو قد اكتفى بالتمسك في يومه ، بدأ الالمان الهجوم ثانية بمشاة من راكبي السيارات ومدفعية قوية وبحوالي ١٠٨ دبابة وقد خسر الالمان ٥٢ دبابة في هذا القتال العنيف ولا شك أن هذه المقاومة القوية كان لها أثرها في سير المعركة بعد ذلك ، ولكن عندما تبددت سحب الاتربة التي غطت ميدان المعركة بدا أن لواء جنوب افريقيا الخامس قد بات أسطورة في التاريخ وأنه لا وجود للقوة التي كان يجب أن يجدها الفيلىق ٣٠ لتصل بينه وبين القوات التي تخرج من طبرق .

ولكن كان الخروج من طبرق قد بدأ ، فقد اجتذب اللواء البولندى بجراًة انتباه العدو الى الطرف الغربى للنطاق الدفاعى ، وفي بكورة يوم ٢١ بدأت الفرقة ٧٠ الخروج من الطرف الشرقى مسبوقه بالبلاك ووتش وبكتيبة

مدافع ما كئنه من النور ثم برلاند فوزيلير تعاونهما بعض الدبابات ، وبخسارة
جسيمة استطاعت حامية طبرق أن تصل الى منتصف الطريق إلى الدودة
ممسكة بألف أسير . .

٥ ٥ ٥

ولعله قد آن الوقت لتحدث عن عمليات الفيلق ١٣ الذي كان يقوم
بالهجوم للشمال من الحدود المصرية بقصد عزل قوات المحور الكبيرة التي حول
البردية والسلم . وكان المقرر أن هذه الضربة لا توجه حتى يكون الفيلق ٣٠
قد قام بجزء كبير من عملياته ، إلا أن عملية الفتح الأولية أدت الى بعض عمليات
جريئة ، ففي ليلة ٢٠ / ١٩ نوفمبر استولى بعض النيوزيلانديين على قلعة كابتوتزو
واحتلوا سيدى عزيز ، وقطع آخرون بمعاونه آلاى الهوزأرس الثامن
والدبابات الملكية ٤٤ ، الطريق وخط أنابيب المياه بين البردية وطبرق
وأمسكوا بأربعمئة أسير ، كما حلت قوة أخرى مساعد وثكنات السلم فى
ليلة ٢٠ / ٢١ نوفمبر

وفى منتصف يوم ٢٢ هاجم اللواء السابع من الفرقة الرابعة الهنديه قلاع
سيدى عمر على الحدود ، واستولت كتيبة رويال سسكس على (عمر الجديدة)
ولكن عندما اجتازت كتيبة البنجاب ١٦ الموقع لاحتلال عمر الليديه ،
نكبت الدبابات التي تصحبها خسائر فادحة من الألغام والمدفعية المضادة
للدبابات واستولى المشاة وحدهم على الجزء الشرقى من الموقع ، وانتهت كتيبتا
البنجاب الاولى والسادسة عشرة العمل كله بعد عشر ذأياء

وفى يوم ٢١ بدأ الفيلق ١٣ الجزء الرئيسى لعملياته . فقد استولى
النيوزيلانديون على جامبلات ولكتهم اوقفوا بعد ذلك بواسطة القوات
المهربية التي ارسلت (من محاصرى طبرق للدفاع عن طريق البردية) وكان

معنى هذا أنه لن يوجد أى اتصال بين القوات التى ستخرج من طبرق والفيلق ١٣
وفى مساء يوم ٢٤ وصلت المعركة إلى مرحلة لا تبعث على التشجيع فقد
أوقفت عملية خروج القوات من طبرق وأوقف النيوزيلانديون وضاعت
سيدى رزىق و بير الحامض كما تمزق اللواء الخامس (جنوب افريقيا) و جزء
كبير من القوة التى لا تقهر (مجموعة الامداد السابعة) وقد استطاع رومل
أن يوجد الاتصال بين فرقتى البانزر ٢١ وأريقتى المدرعة فى جنوب شرقى
طبرق ، وهذا الوضع يمكنه من افناء كل القوات الامامية للانجليز .

على أن الدرس الذى يمكن أن نخرج به من القتال فى هذه الايام الخمسة
هو أن المشاة مالم تكن مجهزة تماما لمواجهة الدبابات لا تكون فى هذا النوع
من قتال الصحراء أكثر من وسيلة للاقلاق . فالمواقع المستتسبة لا يمكن
أن تمرز وأن تحتل بجنود لا يزيد تسليحهم عن بضعة مدافع مضادة للدبابات
٢ رطل مع كل كتيبة ولا سيما إذا كانت الوحدات لم تقطع شوطاً كبيراً فى
التدريب على حرب الصحراء ، ونتيجة لهذا سلمت دبابات الجيش الثامن
إلى المشاة لوقايتهم من سحق مدرعات العدو لهم ، ولم تترك هذه الدبابات للقيام
بواجبها الاساسى

الأمر الآخر هو أن المحوريين بدأوا المعركة بخمسة دبابات وقد ظن أن
ما يتن من هذه الدبابات قد دمرت ولكن الواقع أن هذا لم يكن صحيحاً
بالمعنى الكامل لكلمة دمرت ، ذلك أن الجنود كانوا يعرفون تماماً أنه يجب
عليهم تدمير أى دبابة للعدو يهجرها طاقمها فى الميدان عند تعطلها ، ولكن
السيطرة الوقتية التى كان يناديها العدو بمدفعيته لم تمكنهم من تطبيق هذه التعاليم
تماماً ، وبذلك تمكن الألمان بواسطة التنظيم الدقيق للنجدة والاصلاح من اصلاح

الكثير من دباباتهم .

والشيء الثالث هو أن الألمان كانوا يستخدمون دبابات مارك ٣ المجهزة بمدفع عيار ٥٠ مم ، ومارك ٤ المسلحة بمدفع عيار ٧٥ مم والأولى عامل قوى فى حرب المدرعات أما الثانية فاستخدموها — أساسيا — كدباباة تعاون ضد المشاة ، وقد ثبت أن الدبابات مارك ٣ بمدافعها عيار ٥٠ مم أقوى من الدبابات البريطانية المسلحة بمدفع عيار ٢ رطل ففى تستطيع تدميرها من مدى ميل واحد ، ولهذا فإن مدرعات الانجليز حتى هذا الدور من المعركة كانت خصما عنيدا بالنسبة للدبابات الخفيفة ولكن كل ما كان باقيا لدى الألمان من مدرعات كان من الدبابات الثقيلة التى لم يكن لدى الانجليز ما يمكن أن يواجهها

وكانت كل هذه الاعتبارات تبدو إذ ذاك أمام عينى الجنرال كسنجهم قائد الجيش الثامن الذى كان قد نال شهرة كبيرة بسبب جراته ، فى حملة الحبشة — عندما قاد الجيش من جوبا إلى أديس ابابا — وصادف تعيينه لقيادة الجيش الثامن ترحيباً خاصاً من قوات جنوب أفريقيا ، ومن المصادفة المدهشة كأن أخوه يقود الاسطول وكان قائد القوة الجوية اسمه كوينجهم . ولهذا نشر رسم كاريكاتورى — فى بدء المعركة — لعربة كتب تحته (كسنجهم — كسنجهم — كوينجهم منعهدو ازالة) !! وفى هذا ما يدل على الامانى الطيبة للحلفاء التى كانوا يعلقونها على اجتماع هؤلاء الكسنجهميات الثلاثة !

ولم يكن الجنرال كسنجهم بالرجل الذى يصدر أمره بالتوقف بلا سبب فقد كان حاول جهده لتنفيذ خطة الجنرال أوكنلك ، ولكنه كان قد وصل الى رأى ، هو أن هذه الخطة لا يمكن أن تتم ، وأن هذه العملية يجب التخاصم بها وأن القوات يجب أن تسحب الى الوراء لإعادة التجمع والتنظيم .

وليس شيء أخطر من أن توكل إدارة معركة إلى قائد لا يؤمن بأنه سيربحها
ولهذا فإن الجنرال اوكنلك — بعد زيارة شخصية لمركز الرئاسة الامامي —
قرر أن بكل قيادة الجيش الثامن إلى نائب رئيس أركان حرب الميجر
جنرال ريتشي الذي كان قد قام بتصيب في كل التخطيط الاسلي وكان
مشجعاً بوجهة نظر اوكنلك وأسلوبه التفكيرى .

كان لابد — إذا أريد إكمال المعركة ، وإذا كانت هناك أول فرصة للنجاح
— من معالجة اعتبارات أخرى كثيرة أخرى — فقد كان تموين مالطة في ذلك
الوقت قد انخفض مستواه ، وكان تملك مطارات برقة — حيث يمكن منها
حراسة القوافل — غرضاً ضرورياً علاوة على أى أغراض أخرى يمكن وجودها
وقد أثبتت الحوادث ان الجنرال اوكنلك كان على حق عندما أكد
أن النصر كان لا زال في الإمكان الحصول عليه ، وقد ضرب المثل الحسن
على أن شخصية القائد لا يزال لها تأثيرها في الجيش الحديث .

الفصل الثالث

توجيه جيد للهجوم

انقاذ طبرق

في الرابع والعشرين من نوفمبر كان الألمان واثقين من النجاح ، ولكن عندما فوجئوا بهجوم ناجح للفيلق ١٣ وحامية طبرق ، بدأ رومل القيسام بحركة عنيفة وأكسبها على طراز آخر من الحركة التي كان يقوم بها إذ ذاك قول طيار مكون من آلاى البنجاب الثانى وآلاى السيارات المدرعة الثانى (جنوب أفريقيا) فى أقصى الجنوب ، للدوران حول مؤخرة الألمان حيث أمكن احتلال العجيلة ثم واحة جالو ... وكان غرض رومل هو ارباك مؤخرة الجيش الثالث وبذلك يوقف هجومه تماماً ، ولهذا فانه بعد أن جمع كل ما استطاع أن يقتصده من المدرعات ، بعث بقولات كثيرة من الدبابات والعربات والمدفعية ، وسط خطوط الانجليز ، فى صبيحة الرابع والعشرين. وقد اندفعت هذه القولات إلى الحدود المصرية ثم دارت للشمال فى جبهة واسعة ، مطلقة النيران على كل ما صادفها واختلطت القوات بدرجة كبيرة ولم يكن من المستغرب أن تجد بوليساً حريباً انجليزياً ينظم المرور لتوة المانية خطأ ظناً منه أنها انجليزية ، وقد أطلقت النيران على مركز رياسة الفرقة الاولى المدرعة من مرمى قصير ، وامكن الاحاطة بمركز رياسة الفرقة السابعة

المدرعة التي كان معها قائد الفيلق ٣٠ ، فأرغمت على أن تقاتل لتشق طريقها في الظلام ، وبعثرت قولات القومين قرب بير السفرزن ومادلينا ، وهرجومان في قلق ،... ولكن نظراً للروح القوية وللاندفاع نحو الألمان والإيطاليين أينما وجدوا ، ثم بالمعاونة المستمرة التي قدمها السلاح الملكي ، امكن السيطرة تدريجياً على الموقف ، وبذلك فشل العدو في إدراك غرضه ، وبعد أن تجمعت بقية قوات العدو وتحركت للشمال الغربي لضرب مؤخرة النيوزيلانديين الذين كانوا يتقدمون إذ ذاك على طريق كابوتزو

إلا أن وصول قوات المحور إلى المنطقة الأساسية للمعركة جاء متأخراً وإن كانت قد استطاعت أن تنقذ من منطقة الحدود ، الكثير من الدبابات والمشاة الألمان الذين لولا هذا المدد الجديد لمكانوا قطعوا نهائياً عن القوات الألمانية الأساسية ولكن في ليلة ٢٥/٢٦ نوفمبر استعادت كتيبتا النيوزيلانديين (٢٦ و ١٤) سيدي رزيق كما استعادت كتيبتان أخريان (٢٠ و ١٨) بير الحامض . وفي اليوم التالي — ٢٦ — اجتازت حامية طبرق آخر خط للحصار ودمرت أغلب وحدات فرقة بولونا واحتلت الدودة

وفي بكرة الصباح التالي تم الاتصال بالنيوزيلانديين وتم بهذا المجهود تقسيم قوات المحور . ففي الغرب الفرقة ١٥ بانزر ومشاة الألمان الذين جئ بهم من منطقة الحلفاية ، وفي الشرق الفرقة ٢١ بانزر وفرقة آرييتي . وحاول القول الألماني المغير التدخل في المعركة لإنشاء ممر للقوات الألمانية ، ولكنه دفع بعيداً بواسطة اللوائين المدرعين ٤ و ٢٢ وحاول هذا مرة ثانية يوم ٢٨ ولكنه دفع ثانية للجنوب الشرقي بعد قتال عنيف ، وحدث يوم ٢٧ أن سقطت قنبلة على منضدة تتوسط عدداً من الضباط أركان الحرب الألمان ، كانوا يدرسون العملية على طريق كابوتزو ، فقتلهم هم . ولعل هذا كان سبب

الاضطراب الذى حدث فى اليوم التالى ، وفى هذا اليوم نفسه أمسك الانجليز بأول — وليس آخر — جنرال المانى هو فون رافينستين قائد الفرقة ٢١ المدرعة .

وكان من الواضح إذ ذاك أنه من الضرورى أن يعبر العدو الممر . وفى الثلاثة الأيام التالية ظل يحشد كل شئ . لإدراك هذا الغرض — وقد استطاع الألمان يوم أول ديسمبر أن يصلوا إلى هذا فانضمت الفرقة ١٥ بانزر ومعها قوة كبيرة من المشاة راكبي اللوريات إلى الفرقة ٢١ بانزر ، وفى هذا القتال تسكبت الفرقة النيوزيلاندية خسائر فادحة ، الأمر الذى استدعى سحب بقيتها إلى باجوش لاعادة تنظيمها ، ولم يتقدم اللواء الخامس إلى أبعد من طريق ولم يقم بنصيب ما فى العمليات التالية .. ولكن بعد ثمانية عشر شهراً نال النيوزيلانيون نصراً انتقامياً ، عندما سلمت لهم الفرقة ٩٠ الألمانية فى زغوان فى الساعات الأخيرة من الحملة التونسية .

وفى ذلك الوقت بدا النصر واضحاً فى اللحظة التى ظن أنها لحظة الهزيمة . ولم يكن هذا المعجزة ولا لحادث طارىء . وإنما كان نتيجة استخدام وسيلة قتال جديدة استخدمها جيش النيل لأول مرة فى عام ١٩٤٠ وثبت نجاحها ، وهذه الوسيلة هى التى تعرف باسم قول (جوك) نسبة إلى البريجادير جوك كامبل الذى كان اخصائياً فى استخدام هذه التشكيلات ، ويتكون قول (جوك) من بطارية من المدفعية وقسم من المشاة وبعض مدافع مضادة للدبابات والعربات المدرعة مع الحملة الضرورية للقوات المترجلة والتموين والوقود ، وهذه القوالت التى شكل عدد منها ، كانت تعمل فى أى مكان مستقلة تمام الاستقلال ، وهى تؤثر بدرجة كبيرة فى خطوط تموين العدو كما كانت لجراتها النادرة تعطل عدداً كبيراً من الفرق عن الاشتراك فى المعركة الاساسية . وكان هذا —

ولاشك — مساعدة قيمة ، على أنه قد وجد أخيراً أن هناك خطورة في
الإكثار من هذه القولات ، لأن القوات تكون موزعة في اللحظة التي تتطلب ،
حشد القوات لمعركة كبرى : أما في معركة نوفمبر وديسمبر ١٩٤١ فقد قامت
هذه القولات بخدمات جليلة ، ولاشك أنه كان لها نصيب كبير في التردد الذي
بدأ يظهر في صفوف العدو ، وانتهز رومل فرصة الجو السيء يوم ٢ ديسمبر ،
فبدأ يسحب مشاته وحملته نحو الساحل والطريق الساحلي ، وكان معنى هذا
الحشد إما هجوم جديد للعدو أو تقهقر جديد له ، ولكن على أي الحالين فقد
قوبل الألمان بضربات قاتلة إلا أنه يظهر أن الألمان كانوا يظنون أن
الانجليز تكبدوا خسائر أكثر مما لحقهم هم ولهذا فإن أول ما استخدم فيه
رومل حشده هذا هو محاولته الإحاطة بالقوات التي في بير الجوبي كما أرسل
قواته الخفيفة لقطع قوات بير الجوبي عن قاعدتها ، ولكن بالرغم من هذا
فإن قوات بير الجوبي كانت قادرة على القتال وكان السلاح الجوي على أتم أعدة
لمعاونتها . ففي الثالث من ديسمبر ضربت محشذات رومل في منطقة سيدي
رزيق بعنف ، كما هاجم اللواء الهندي بمعاونة اللواء الرابع المدرع القوات
التي تحيط ببير الجوبي من الخلف ودفعتها للشمال الغربي ، كما مزقت قوات أخرى
قولات العدو في نقطة غير هذه ، وكذلك عزل هجوم العدو على الدودة أو صد
بهجمات مضادة محلية ، وجاء اليوم التالي بنفس قصة هذا النجاح المحلي . ونفص
رومل يديه من أطاعه هذه وارتد لغرب خط من بير الجوبي إلى جنوب العدم
وكان معنى هذا أن انقاذ طبرق قد تم . وفي السابع من ديسمبر اتصلت
دوريات حامية طبرق بوحدات من فرقة جنوب أفريقيا الثانية والهو زارس
الحادي عشر التي كانت تتقدم على طريق البردية - طبرق وفي اليوم التاسع احتلت
قوات من طبرق العدم واتصلت بفرقة جنوب أفريقيا الأولى واللواء السابع

الهندي ، وانتهى بهذا تطهير المنطقة كلها من الحصار فيما عدا الهضبة الغربية التي لبث العدو بضعة أيام متشبثا بها

على أنه ظهر إذ ذاك أن العدو يتقهقر تماما نحو الغزالة ، وفي الثاني عشر من ديسمبر وصل الالمان تحت ستار ساقطة تسكبد خسائر فادحة الى خط يمتد للجنوب الغربي من الغزالة ، ولكن هذا الموقع لم يكن جيدا ، فان الجنب الايمن كان في الهواء ولم يكن لديه أكثر من خمسين دبابة لتغطية هذا الجنب وكان كذلك يطارد بقوة وفي مطاردة متصلة فلم يكن في استطاعته أن يتخلص من المطاردة ولهذا فقد توقف للقتال خمسة أيام متوالية يمكن أن تكون في مجموعها معركة الغزالة الاولى. ونجحت التحركات حول الجنب المعرض ، التي قامت بها الفرقة السابعة المدرعة نجاحاً ملحوظاً. وفي الرابع عشر من ديسمبر أفلح البولنديون واللواء الخامس النيوزيلاندي في شق ثغرة في منتصف خط العدو ، ثم أتموها في اليوم التالي ، وبالرغم من الهجوم المضاد العنيف الذي قام به مقدمة المحور مصحوبة بما بقي من الدبابات وبمعاونة ستارة جوية قوية ، بقي النيوزيلانديون في مكانهم وقرر قائد الفرقة في المساء أن الموقف يبعث على الطمأنينة .

وهكذا تم اختراق خطى رومل وأمكن ثنيهما للخلف ، ويحتمل أن يكون رومل قد ترك في ميدان المعركة قوة لا تزيد عن حوالى ٣٠ دبابة و ٣٠٠٠٠ عربة و ٣٥٠٠٠ من المشاة منهم ٢٠٠٠٠ من الايطاليين ، وكانت له قوة مدرعة على خط التقهقر عند التيمى وقوة أخرى موزعة تقطع الطريق الذي يخرج من درنة ، ولم تكن له قوة جوية كافية ولهذا كان غرضنا جيداً لهجوم جوى مستمر .

وقد قال الجنرال مونتجومرى عن رومل أنه قائد جيد ولكنه يكرر

أعماله دائماً . ففي ذلك الوقت بدأ رومل التكتيكات التي كررها بعد ذلك كلما وجد نفسه في مأزق ، وهي الخاصة بانقاذ الالمان على حساب حلفائه البائسين . ففي ليلة ١٦/١٧ ديسمبر بدأ تنفيذ قراره هذا . إذ بلغت الفرقة السابعة المدرعة عن قول كبير تحرسه الدبابات يتحرك للخلف نحو التيمى ، وتركت القوة الصغيرة التي كانت في التيمى مكانها لعمل الساقة ، وفي منتصف يوم ١٧ ديسمبر كان هذا القول يقترب من درنة ، على أن ستارة الايطاليين التي كانت تحرس المؤخرة كانت تتقهقر بسرعة ولهذا صارت المعركة عملية مطاردة ، وفي أثناء ذلك اندفع اللواء النيوزيلاندى الخامس والبولنديون إلى التيمى ، والفرقة الرابعة الهندية إلى مرطوبة وبذلت الفرقة السابعة المدرعة ومجموعة لواء الحرس مجهوداً كبيراً بالتدخل في انسحاب العدو بالاندفاع نحو بنغازى عن طريق المخيلى — شروبه — الايبار

وكان الانجليز في الواقع يفتقرون إلى حملة ميكانيكية كبيرة لمواجهة هذه التحركات السريعة البعيدة المدى ، وانقلب الجو فجأة وسببت الاثرية تعمية السيارات في البداية ، ثم عطلت منهاهى والمدرعات عدداً وبذلك استطاع رومل أن ينقل أغلب جنوده ، وأن يعود بهم إلى منطقة اجداية ، ومع هذا ، فإن المطاردة نالت بعض الثمار الجيدة ، فقد نجحت كتيبة السبخ الحادية عشرة في الوصول لمطارات درنة فجأة ، فاستطاعت تدمير أكثر من مائة طائرة على الارض والإمساك بعشر طائرات نقل من اثنتى عشرة طائرة نزلت إلى المطار وهي لا يداخلها الشك في أنه لازال في يد الالمان واستطاعت كتيبة راجبوتانا رايفلز أن تعبر الأراضى المقفرة وتمسك بألف أسير في جيوفانى بيرتا ، كما أمكن الداورية الصحراوية البعيدة المدى المكونة من فدائي الشرق الأوسط بقيادة الكبتن (الآن ليفتينانت كولونيل) دافيد ستيرلنج ، القيام باغارتين

موفقتين على مطاري سيرت واجداية ودمرت فيهما ما جملته ٦١ طائرة، ولكن على العموم يمكن أن يقال أن صعوبة التموين حالت دون استثمار الانجليز لنجاحهم في المطاردة .

وفي يومى ٢٢/٢١ ديسمبر تلقى رومل إمدادات كثيرة من الدبابات من طرابلس والبحر ، فبدأ يرسل قوات مدرعة الى منطقة اجداية وبدأ يعد العدة للهجوم المضاد ، ومن أجل هذا أخلى بنغازى التى احتلتها كتيبة الدراجون فى مساء يوم ٢٤ ، فلما تقدمت القوات البريطانية نحو المواقع الدفاعية فى اجداية، وجدت الالمان فى قوات كبيرة ، ولهذا لا يمكن البتة أن يوجه أى لوم للقوات التى فشلت فى سحق قوات رومل الاساسية فى منطقة أجداية

وفي يوم عيد الميلاد كانت الفرقة الرابعة الهندية حول بنغازى ووصل اللواءان ٢٢ المدرع والثانى عشر لانسرز الى سانو ، أما مجموعة لواء الحرس فكانت مشتبكة بالعدو فى شمال وشرق أجداية ، كما كان جزء من مجموعة الامداد السابعة والهوزارس الحادى عشر وآلاى الدبابات الثالث فى منطقة عنيتلات . أما بقية مجموعة الامداد السابعة فكانت فى سولوك ، وكان معنى هذه التوزيعات أن لا مشاة بقرب ميدان القتال وحتى القوات المدرعة لم تكن فى قوة تكفى لمعركة هجومية كبرى ، وكان القتال حتى نهاية العام عنيفاً جداً ولكنه كان محلياً وغير حاسم

وكانت مشكلة الإمداد والتموين كافية لتوضح سبب قلة القوة الانجليزية على الحدود الغربية ، وكان من الواضح أيضاً أن هذه المشكلة ستظل قائمة إلى أن تدمى ميناء بنغازى للعمل . ولكن من ناحية أخرى كان من المنطق والاصح أن تحشد القوات للشرق لتستخدم فى تدمير الحاميات التى تركها الالمان وراءهم فى البردية والسلوم والحلفاية والتى كانت الفرقة النيوزيلاندية الثانية قد قامت

بالإحاطة بها أثناء سير العمليات للغرب ، ، وقد هوجمت البردية في آخر ديسمبر واستسلمت دون قيد أو شرط في الثاني من يناير وكان بين الأسرى جنرال الماني آخر ، وصلت السلوم والحلفاية بعد عشرة أيام من هذا التاريخ عندما تعاونت قوات الفرنسيين الأحرار بقيادة الجنرال لارمينيا ولواء دبابات الجيش الأول مع النيوزيلانديين في هجوم عنيف في ضوء القمر ، وأسرت ١٤٠٠٠ أسير منهم ٤٠٠٠ الماني

أما في الجبهة الغربية فبعد أن تمت الإحاطة بقوات المحور في المدة بين ٢٨ — ٢٩ ديسمبر فتر القتال بسبب قلة الوقود للسيارات ، على أن رومل نفسه لم يكن يستطيع أن يقف طويلاً في أجداية فان مشكلة التموين بالنسبة له لم تكن تقل عنها بالنسبة للانجليز ، كما أنه لم تكن لديه طائرات قريبة من مواقعه الدفاعية وعدا هذا فقد كان يعلم علم اليقين أن الانجليز بمجرد أن ينجحوا في استخدام ميناء بنغازي سيدفعون للغرب بالأمداد التي تمكنهم من قطع وصول أى امدادات اليه ، بل الإحاطة بمواقعه الدفاعية تماماً

وفي الخامس من يناير سمع رومل بوصول تسع سفن إلى ميناء طرابلس تحدل اليه امدادات ، كما علم بأن قوافل أخرى في طريقها اليه — وصلت هذه فعلا في أثناء شهر يناير نفسه — حاملة قوات وأدوات المانية تمكنه من تعويض خسائره كما أن فرقتي ليتوريا ١٣٣ وسابرازا ٦٠ الايطاليتين كانتا تتقدمان براً من طرابلس للشرق . ولهذا قرر رومل يوم ٦ يناير أن يرتد الى العقيلة انتظاراً لهذه الامدادات ، ولأول مرة استخدم رومل لستر تقمقره العامل الذي نجح في استخدامه بكثرة ، وهو حقول الألغام الكشيفة

وفي السابع من يناير وصلت الى بنغازي قافلة كبيرة تقل إمدادات الانجليز ولكنها جاءت متأخرة ، من حيث إمكان استخدامها في المطاردة .

وقد وصل رومل إلى العقيلة بعد أربعة أيام قضائها في تفهقر منظم بطيء .
والواقع أن موضع العقيلة يعتبر من الناحية الدفاعية موقعاً قوياً لجنبه الأيسر
يستند إلى البحر عند معاطن بسكار وفيها مورد مياه جيد ، هذا عدا أن الخط
عندها تستره مستنقعات ! أما الطرق فقد بثت فيها الألغام بكثرة ، ثم بدور
الخط في انحناء محدودب طويل مندفعاً للشرق ليضمير الصوبرا ثم يسير جنوباً
على طول التلال التي تمتد الجنب الشمالي لوادي الفارغ حتى يصل واحة مرادا .
وكانت المنطقة إلى جنوب هذا لا يمكن أن تجتازها أي قوات كبيرة ثم أن
وراء هذا الخط مطاراً جيداً أطلق عليه بعد ذلك اسم (ماربل آرش) على أن
الانجليز لم يتركوا رومل يهنأ بموقعه الجديد بل تقسدت نحوه بعض قوات
مكونة من مجموعة لواء الحرس والهوزارس الحادي عشر وكتيبة حرس
الدراجون الملائكية واللائسارز الثاني عشر ثم مجموعة الامداد السابعة التي
غيرت بمجموعة الامداد الاولى قبل أن يبدأ العدو هجومه المضاد ... على أن
هذه القوات في مجموعها كانت قليلة بالنسبة للواقع القوي الذي تواجهه ...

الفصل الرابع

الهجوم عند الغزاة

كان يظن أن التحرك الأول لقوات المحور في الحادى والعشرين من يناير لا يزيد عن استكشاف بقوة، وكانت البلاغات الرسمية نفسها تقول هذا دون حذر. فاذا كان رومل كان يقصد هذا حقاً، فإنه لا بد أن يكون غير من قصده بسرعة، عندما وجد أن طريق العقيلة — أجدابية تحميه قولات خفيفة من لواء الحرس، واندفع وسط هذه القولات واحتل ساونو وعنتيلات في اليوم الثانى والعشرين، وبناء على هذا وجه اللواء المدرع الثانى من الشمال وآلاى اللانسرز التاسع والقوه (E) من الجنوب، لمهاجمته في مواقعه الجديدة، ومر يومان في قتال عنيف مضطرب، ولكن في يوم ٢٣ ظهرت أول بارقة الحقيقة نوايا رومل، فقد شوهدت في مينسما مزارطة قافلة كبيرة من سفن المحور. وهوجمت هذه السفن من الجو فأصبحت ثلاث سفن من سفن النقل وسفينةتان حربيتان من مجموع ٢٤ سفينة، ولكن رغم هذا فإن أغلب السفن استطاعت المرور، ومع هذا كان هناك أمل في امكان إحتمال خط من الساحل إلى بيدافوم — عنتيلات — ساونو، ولكن في اليوم الخامس والعشرين كانت القوات التى فى هذا الخط لا تستطيع الثبات أمام تقدم العدو، فتقرر تركه مع اخلاء يمتغذى.

وتغيرت الخطة مرة أخرى في اليوم التالى. فقد أمرت الفرقة الرابعة الهندية

بأن تضرب للجنوب من منطقة بنغازى نحو عنيلات، وأن تظل الفرقة الاولى المدرعة فى الجنوب الشرقى من شاروبا وأن يتقدم اللواء البولندى إلى المخبلى بيننا يبقى الألاى الرابع، سيارات مدرعة (جنوب أفريقيا) القيام بأعمال الدوريات بين المخبلى وشاروبا، وكان على الفرقة الخمسين ولواء الحرس ١٥٠ المتقدمين من الشرق أن يتحركا من بير حكيم إلى بير تنجيدير، ولكن مع كل هذه الترتيبات، يظهر أن قوة العدو أخطى. تقديرها مرة أخرى ...

واستطاع رومل بعد قتال عنيف مدة يومين أن يقسم الفرقة الرابعة الهندية إلى قسمين فعزل اللواء السابع فى بنغازى وإن كان هذا اللواء قد استطاع بحجراً قائده أن ينقسم إلى ثلاث قولات نفذت كلها من قبضة العدو وانصرفت إلى القوات المدرعة فى المخبلى، ممسكة بالأسرى الذين أسرتهم على الطريق، إلا أن هذا اللواء خسر الكثير من أدواته التى تركها فى بنغازى كما أنه لم يستطع إحضار وحدات المهندسين التى تركت فى بنغازى لأعمال النسف والتدمير

ولم يكن أمام الانجليز إلا التقهقر إلى خط أقوى يمكن المقاومة فيه. وفى الرابع من فبراير كان لواء جنوب أفريقيا الأول والبولنديون والفرنسيون الأحرار يحتلون الغزالة والمنطقة الواقعة إلى جنوبها، وبين هذا وطريق العبد كانت القوات المدرعة، أما اللواء ١٥٠ فكان فى منطقة بير حكيم مع الفرقة الرابعة الهندية فى الاحتياطى فى عكرمة، حيث وصل اللواءان الخامس والحادى عشر بعد قتال عنيف، وكان على الرويالز وبعض قوات جنوب أفريقيا القيام بالدوريات فى المنطقة الصحراوية جنوبى بير حكيم

ولم يقف العدو بل تابع تقدمه للشرق، وفى العشرة الايام التالية بدا أنه يحشد قوات كثيفة لمهاجمة القطاع الشمالى لهذا الخط، وفى اليوم الرابع عشر كان قد حشد قوة ضرب قوية أغلبها من الألمان ولكن المعاونة الجوية التى كان

يستند اليها لم فصله ، فقد دمر تشكيل من طائرات كيتيموك بين عشرين وثلاثين قاذفة قنابل متقضة وطائرات مقاتلة في عملية واحدة . ولهذا تابع رومل تقدمه يوم ١٥ فبراير دون القيام بهجوم جوي ، وانتهى الأمر إلى أن كلا الجانبين استقر حيث هو ، ليعد الامدادات اللازمة ... وفي هذا الوقت خلف الجنرال جوت (قائد الفرقة السابعة المدرعة) الجنرال جودوين اوستن في قيادة الفيلق ١٣

• • •

وإلى هنا يكون هجوم الجنرال اوكنلوك قد انتهى . وقد اعتبر هذا الهجوم إلى هذا الحد فوزاً ، لأنه اغتصب ما حصل عليه من فكى الأسد ، وقد أسر الانجليز ٣٦٠٠٠ أسير من المحوريين كما نجحوا في تأكيد رومل خسارة فادحة في الرجال والأدوات ، وقد انتهى الخط الذي أمكن الوصول إليه في منتصف برقة بدلاً من حدودها الغربية ، فإذا كان هناك أى نقد فلا يمكن أن يكون خطأ الضباط والجنود الذي خاضوا غمار تلك المعركة القاسية . ولا شك أن سرعة تحول بندول ساعة الزمن في صف الألمان كان السبب في الحكم الغير الصحيح الذي عقب به بعض الكتاب على تلك المعركة .

والواقع أن الجيش الثامن لم يكن قط في القوة التي تكفل له القيام بما عهد به اليه وكان كل ما أمكن الحصول عليه في كل مرة ، إنما يرجع إلى الروح القوية التي تتوافر في الضباط والجنود ، وقد كان الأمل في إمكان مهاجمة الجيش الأساسي لرومل قائماً على افتراض النجاح في تدمير مدرعاته ، ولكن الجيش الثامن — عندما بدأ الهجوم في الثامن عشر من نوفمبر — لم يكن قوياً بالدرجة التي تمكنه من هذا ... فالعربات التي يمكن أن تصاح لمعركة صغيرة لا تصلح

القتال متواصل ولمدى بعيد... ثم أن وسائل النجدة والاصلاح لم يكن من المستطاع أن تعمل في هذا المدى المتسع، ولهذا عندما وصل رومل، لم يكن من الممكن أن يظل في العمل أمام مواقعه أكثر من لواء مدرع ولواء مشاة من الانجليز ثم أن الدبابات الألمانية كانت أقوى من مثيلاتها الانجليزية حتى الدبابات المسلحة بمدافع من عيار ٥٠ مم كانت قبلتها تستطيع اختراق الدروع من مدى ١٠٠٠ ياردة بدرجة أكبر من القنبلة زنة ٢ رطل، وإن كان هذا الموقف يتغير لو كان الاشتباك في أرض تصلح للاشتباك من مرام قريبة

وقد بقي هذا الهجوم المكبوت ثلاثة أشهر متوالية حتى السابع والعشرين من مايو وإن كان من غير المستطاع أن تغفل الهجوم الذي قامت به ثلاث قولات انجليزية قوية في اليوم الحادى والعشرين من مارس، لتحويل انتباه الألمان بعيداً عن قافلة من السفن كانت تشق طريقها إلى مالطة

وبدأ السباق من الجانبين للحصول على أفضلية في النوع والكمية... وفي هذا السباق كان كل شيء في جانب رومل.. فدباباته ومدفعيته وخاصة المضادة للدبابات أقوى وأكثر. ثم أن جنوده الألمان مدربون تدريباً عالياً. كذلك ليس من العدل — كما جاء في بعض التقارير التي خطها أناس ليسوا في ميدان القتال — أن يهمل الإيطاليون الذين كانوا يعملون إلى جانب فيلق أفريقيا الألمانى. ثم أن خطوط مواصلاته — جغرافياً — أقصر من خطوط مواصلات الجيش الثامن. فلم يكن إلا أن تعبر السفن البحر الأبيض المتوسط إلى مينائى طرابلس أو بنغازى حتى تحول الامدادات التى تقلها إلى الجبهة بسرعة، ولم يكن هناك أى عائق عدا مالطة، ولهذا استمرت هذه الجزيرة طوال الربيع

غرضاً لغارات مستمرة ... صحيح ان الدفاع عنها كان مجيداً ولكن لا شك أن هذا شغل الطائرات والسفن التي بها عن محاولة القيام بأى هجوم للتدخل ضد الإمدادات التي ترسل لرومل عبر البحر المتوسط، ولم يكن فى مقدور الطائرات الانجليزية التي وراء خط الغزاة أن تعمل شيئاً، كما أن قواعد الحلفاء البحرية كانت بعيدة، ولهذا فبالرغم من أعمال غواصات الحلفاء، أمكن رومل أن يحصل على إمدادات كثيرة.

أما الموقف بالنسبة للجيش الثامن فكان — على نقيض هذا — مشكلة معقدة، فكل جندي وكل قطعة من عتاد الحرب — فيما عدا ما تنقله طائرات النقل — كان يجب أن ينقل بالبحر مسافة اثني عشر ألف ميل، وكان البحث مستمراً للوصول إلى انتاج دبابة تقابل الدبابة الالمانية مارك ٣ وإلى انتاجها بذثرة وكان الأمريكان ينتجون — فعلاً — دبابات من طراز جرانت وكانوا قد بدأوا يرسلونها إلى الجيش الثامن، ولكن مدافعها الكبيرة كانت تحدد من درجة قوس نيرانها، ثم إن العدد الذى وصل منها إلى الجيش الثامن عند بدء المعركة لم يكن كافياً. كذلك كان الموقف بالنسبة للمدفعية ... والواقع أنه ليس هناك ما يقال ضد المدافع عيار ٢٥ رطلاً إلا أن العدد الذى كان يمكن إيجاد احتمالات له كان قليلاً ... ولم يكن المشكل كان واضحاً بالنسبة للمدفعية المضادة للدبابات فقد كانت الحاجة ملحة لمدافع منها من عيار كبير وقد حل الالمان هذا المشكل باستخدام المدافع عيار ٨٨ مليمتر المصنوعة أصلاً للعمل ضد الطائرات — كمدفعية مضادة للدبابات أيضاً، وقد صنع الانجليز المدافع عيار ٦ رطل وكان بعضها فى الطريق للصحراء الغربية ولكن حتى مايو كان كل ما وصل منها عدد قليل ليست له قيمة جدية، أما الطائرات فإن الامداد بالآلات عن طريق أفريقيا الجوى كان ميسوراً ولكن يمكن القول

بالنسبة لكل المهام التي كان يجب أن يقوم بها السلاح الجوي الملكي أن هذا السلاح كان مفتقراً إلى الكثير من احتياجاته ولا يصح أن نغفل أيضاً أنه في أثناء هذا الهجوم كان لمسارح الحرب الأخرى أثر في التطورات التي حدثت في الصحراء الغربية ، فإن الهجوم الياباني كان على أشده ولهذا اضطر الأمر إلى تحويل امدادات كثيرة من التي كان مقرراً إرسالها إلى الشرق الأوسط ، إلى الشرق الأقصى ، هذا عدا نقل لواء مدرع أرسل من الشرق الأوسط إلى سيلان والهند وبورما ، كما أن كل القوات الأسترالية — فيما عدا فرقة واحدة لم تكن قد ضمت بعد إلى الجيش الثامن — قد أرسلت لمواجهة الغزو الذي كلف يهدد أستراليا نفسها ، ولهذا فإنه بالرغم مما كان يصل الجيش الثامن من إمدادات ومعدات من الولايات المتحدة وبريطانيا . كان المتوقع دائماً أن رومل هو الذي سيبدأ بالهجوم ... وقد ثبت أن هذا الظن كان صحيحاً من كل الوجوه .

الفصل الخامس

معركة جسر الفرسان

في أوائل مايو بدأ الألمان يزحفون للامام لتقليل سعة الشقة الحرام ، التي تقع بين أقمى مواقعهم الأمامية وبداية حقول الألغام الانجليزية ، وكانت القيادة العليا لتوات المحور قد أعيد تنظيمها أيضاً لجاء الجنرال نيرنج ليتولى قيادة فيلق أفريقيا والجنرال فون بسمرك لقيادة الفرقة ٣١ المدرعة ، وقد دل هذا — مع الامدادات الكثيرة التي وصلت رومل — على أن هجوما يقترب وأن أول أغراضه سيكون طبرق

وقد بدأ رومل هجوماً في السابع والعشرين من مايو على أساس أنه كلما طال به وقت الانتظار، بات أضعف نسبياً. ولهذا فقد تخير اللحظة التي كان هو فيها الأقوى — بالنسبة للسباق من أجل الامدادات — وكانت القيادة الانجليزية العليا عالمة بالهجوم كما أنها كانت على حق في تقديرها أن غرض رومل الرئيسي سيكون طبرق ، ذلك لأن الحامية التي تركت بها عند تقهقر وبفل كانت وحدها مبعث قلق رومل ، ولكن هذه القيادة لم تكن تعرف : هل يتقدم رومل نحو طبرق مباشرة أم لا؟ على أن كل توزيعات الجيش الثامن كانت على أساس أن طبرق هي أول ما سيتوجه نحوه رومل ، ولهذا كان احتياطي المشاة المكون من اللواء الخامس الهندي وبعض الفرنسيين الاحرار يعسكر في بجا مبيت والبردية ، كما جرىء بلواء الحرس . . . واولاى دبابات الجيش الثاني والثلاثين

من القاهرة إلى القطاع الشمالى للجبهة ، أما الخط الدفاعى فكانت تحتله الفرقة الأولى من جنوب أفريقيا مع لواء من الفرقة الثانية فى الاحتياطى القريب ، ثم الفرقة الخمسين بعد المائة الذى أرسل لاحتلال نقطة قرية جنوبى سيدى مفتاح ، وفى أقصى الجناح الجنوبى كانت تحتل منطقة بير حكيم حامية من الفرنسيين الاحرار يعاونها قسم من اللواء الميكانيكى الهندى الثالث الذى كان قد وصل قبل المعركة بيومين فقط ، ونظراً للشجاعة التى أظهرتها هذه الحامية نحب فى هذا المقام أن نوضح تشكيلها . فقد كانت مكونة من كتيبة الباسفيك وكتيبتين من فرقة الأجانب ثم بعض جنود من البحرية الفرنسية وكل هؤلاء تحت قيادة الجنرال كويفتج والجنرال كازو كقائد ثان ، ولم يكن هذا الدفاع خطأ متصلاً بل كان عبارة عن مجموعة من النقاط القوية المختلفة الابعاد من بعضها البعض وتربط بينها حقول الغام كبيرة العمق ، ولم تكن هذه النقاط متشابهة القوة والتسليح فتملك التى كانت أقرب للعدو كانت تحتلها حاميات من المشاة ، أما تلك التى فى الخلف فانها — بالإضافة إلى كونها مواقع لاحتياطى ثابت — فانها كانت أيضاً مناطق يمكن منها للقوات المدرعة أن تخرج للاشتباك بأى قوات للعدو تجتاز القواعد الامامية أو حقول الالغام ، وكان أغلب القوات المدرعة موضوعاً خلف القطاع الشمالى ، وكان الجزء الرئيسى الافوى موجوداً حول تقاطع الطرق المعروف باسم «جسر الفرسان» على مسافة ١٧ ميلاً غربى العدم

وكان جسر الفرسان هو فى الواقع مفتاح موقع الغزاة . وقد اختير بسبب أنه طالما حوفظ عليه فان رومل لن يستطيع الوصول إلى أى نجاح استراتيجى ، فاذا كان سيقوم بالاختراق من الوسط بواسطة هجوم أمامى ، فان جسر الفرسان يقف فى طريقه مباشرة ولهذا فاما أن يدمر فى مكانه وإما أن

تدفعه القوات المدرعة للشمال ، وفي هذه الحال سيسقط في قبضة قوات موقع
عكرمة والمدرعات التي هناك في تلك المنطقة ، فاذا قام بالاختراق شمالا من هذا
أيضاً فإن الجنب الايمن لتقدمه سيقع تحت نيران مدمرة من الهضبة الواقعة شمالا
جسر الفرسان ، فاذا دار حول الجنوب فمن الممكن مهاجمة جنبه الايسر كما
أن موصلاتته يمكن قطعها ، وأخيراً فإن جسر الفرسان يسيطر على كل الدروب
التي ترسل عليها الامدادات الى الجبهة ولهذا فإن سقوط جسر الفرسان في يد
العدو من شأنه أن يجعل البقاء في هذه المنطقة من سيدي مفتاح الى بير حكيم
مستحيلاً .، وقد اتى عبء الدفاع عن هذا الموقع الهام على لواء الحرس والمدفعية
الحياة الملكية . وقد كان هذا المكان طوال المعركة المحور الذي تدور حوله
القوات المدرعة

وكانت القوات المدرعة تتكون من الفرقة السابعة التي كانت إذ ذاك
تتكون من الألبى الدبابات، الثالث والخامس — ثم الهوزارس الثامن والواو
الميكانيكي السابع .، وكتيبتين من اللواء الستين وكتيبة من لواء البنادق .
وكانت هذه الفرقة — السابعة المدرعة — قد حلت محل الفرقة الاولى المدرعة
قبل بدء المعركة بشهر واحد ، ولكن هذه الاخيرة زودت بمعدات جديدة
وأعيدت إلى الميدان بالإضافة الى الوحدات المدرعة الصغيرة التي ذكرت من
قبل ، وكانت الفرقة الاولى مكونة من اللوائين المدرعين الثاني والثاني والعشرين
ثم من لواء الحرس المائتين

وكانت هاتان الفرقتان المدرعتان يستاران العربات المدرعة المكونة من
اللانسرز الثاني عشر ومعها حرس الدراجون وآلاى السيارات المدرعة الرابع
جنوب أفريقيا ثم حامية بير حكيم ، تكون الفيلق الثلاثين . وكانت المشاة
كلها التي في خط القتال واللواءان الاول والثاني والثلاثين من دبابات الجيش

تكون في مجموعها الفيلق الثالث عشر ، أما اللوام في الباقيان من الفرقة الثانية جنوب أفريقيا فكانا يحتلان طبرق ، وفي هذا التوزيع كان الجيش الثامن يستعد للهجوم وفي نفس الوقت ينتظر تملؤة الثقة — أي هجوم للعدو وكان غرض رومل أن يحتل طبرق في عملية سريعة لا تستغرق أكثر من أربعة وعشرين ساعة ، ولإدراك هذا الغرض وضع خطة للحصول على سيادة جوية وتحت سائر قوته الجوية تدور كل القوات الألمانية المدرعة عدا كتيبة واحدة ونحو نصف المدرعات الإيطالية مع بعض المشاة حول أقصى الجنوب . وأمل رومل في أن يحتل بير حكيم في طريقه ، كما أمل في الاستيلاء على محطة الوقود الأمامية للجيش الثامن التي في عكرمة ثم المطارات التي بها ، كذلك العدم والدودة وسيدى رزيق وجامبوت ، وكل هذا في اليوم الأول .. وبذلك يكون قد أحاط بطبرق

فاذا جاء اليوم الثاني اندفعت قواته المدرعة للشرق وراء مؤخرة موقع الغزاة بينما يقوم مشاة الإيطاليين بهجوم أمامي من الغرب ، وهذا يحول المشاة الانجليز إلى مسحوق يتطاير في الهواء .. وفي الليلة التالية تهاجم طبرق بكل جيش المحور على أن يتم سقوطها يوم ٣٠ مايو .. كذلك هناك بعض أسباب تدفع إلى الظن بأن رومل كان يتوقع مساعدة قوات من كريت تعاونه في الهجوم على طبرق

وقد أسى القيام بتنفيذ الخطة كلها ، ففي بكورة يوم ٢٧ هاجم جزء من فرقة أرييتي بير حكيم ولكنه رد بخسارة ٤٨ دبابة ، أما باقي القول الأساسي للمحورين فبعد أن دار دورة واسعة أثناء الليل ، اندفع عند الفجر نحو الشمال من وراء بير حكيم ، وقد اصطدم به اللوام الميكانيكي الثالث الهندي ولكن لم يكن في استطاعة هذا اللوام أن يقاتل فرقتين مدرعتين في الميدان

المكشوف ، وقد تكبد الالمان خسارة خمسين دبابة قبل أن يستطيعوا اجتياز النطاق الدفاعي الذي كان يسد طريقهم ، واندفعت الفرقة ٢١ بانزر إذ ذاك نحو عكرمة ولكنها اصطدمت بالفرقة الاولى المدرعة مستندة إلى موقع جسر الفرسان القوي فعطلتها ، وفي نفس الوقت اندفعت الفرقة الخامسة عشرة بانزر نحو العدم ، بينما أرسلت بعض قوات منها لاحتلال الدودة وسيدى رزيق ، ولكن كل هذه القوات قوبلت بوحدات اللوائين المدرعين الرابع والثاني والعشرين وصدت للوراء ، وفي لهذا القتال لا يمكن اغفال الدور المجيد الذي قامت به وحدات هوزارس جلوسستر شاير الملكي وآلاى يوميرى كوتنى اوف لندن الثالث ، والهوزارس الثامن وآلاى الدبابات الثالث . . . وقد قام مشاة المحرر بالهجوم المخادع تجاه الغزاة من الغرب طبقا للخطة الموضوعة ، ولكن الهجوم لم يدفع بضغط كاف

هلى أن هذا التعطيل التام لم يكن هو كل متاعب رومل ، فان السلاح الجوى الملكي قد رفض أن يذعن لمحاولة الالمان الحصول على السيادة الجوية ولهذا سر حملات رومل الميكانيكية وقت سىء ، وكان السلاح الجوى بمعاونة الاسطول قادراً على منع أى غزو من كريت لو كان شىء من هذا قد نظم من قبل . وكانت قولات رومل تحمل معها تموين خمسة أو ستة أيام ، ولهذا كان من الضروري قبل أن يمر هذا القدر من الوقت أن يعمل على إمدادها بتموين جديد ، أو تصاب بنكبة

وكانت الفرصة الوحيدة التى لدى رومل حتى لا يعود ثانية من الطريق الذى جاء منه ، هى أن يشق ثغرات فى حقول الالغام الانجليزية ، ومن هذه الثغرات يستطيع إحضار التموين من الغرب الى الشرق كما يستطيع — عند الضرورة — أن ينسحب من الشرق إلى الغرب ، وقد نجح فى اليوم الثامن

والعشرين في أن يشق معبرين أحدهما قرب طريق العبد والثاني قرب طريق كابوتزو الى شمال الموقع القوي الذي يحتله لواء المشاة الخمسون بعد المائة وقد حرس هذان المعبران بستارة من المدفعية المضادة للدبابات ، ويبدو أن قصده الاول من شق الشغرات إنما كان استخدامها كخطوط حيوية للانسحاب ، كما يبدو أن معركة الدبابات العظيمة التي اثيرت في منطقة جسر الفرسان في الايام الاربعة التالية ، إنما أعدت لاستخلاص قواته المدرعة من العزلة الخطرة التي كانت فيها شرقي خطوط الانجليز

وانجلي يوم ٢٩ مايو عن قتال لا يبعث على التفاؤل فقد تكبد الجانبان خسائر فادحة في الدبابات ، ولكن جاءت لحظات كثيرة في الايام التالية كان الجيش الثامن يبدو فيها في أوج الانتصار وقد بدا بوضوح أن الدبابة جرانت أكثر من أى دبابة أخرى سبقتها في الوقوف على قدم المساواة مع الدبابة الالمانية مارك ٣ ولكن لم تكن هناك مساواة في القوات المدرعة واستمر الحال كذلك حتى وصل الى الجيش الثامن بعد ستة شهور أخرى عدد كبير من الدبابات من طراز شيرمان .

وفيما عدا خسائر المعركة تعطل عدد كبير من سيارات نقل العدو المنضوب البترول منها ، وفي يوم ٣٠ — أثناء تخلص القول الفرنسي (جوك) من بير حكيم ليتصل بالقولات الانجليزية — دمر خمسة وعشرين دبابة للمحور كانت معطلة لا فتقارها للوقود وقام اللواء الرابع المدرع الذي كان يقوم بامداد هذه القولات باتلاف ذريع لخطوط مواصلات المحور ، ولكن كان القلق ما زال قائما لأن الشغرتين اللتين شقهما الألمان في حقول الألغام الانجليزية كانتا لا تزالان مفتوحتين بل أنهما ازدادت اتساعا في غرة يونيو ، وفي هذه الأثناء كان اللواء المائة والخمسون المشاة الذي يحتل موقع سيدى مفتاح قد بقى له مع

وثلاثين ساعة غرضاً لهجوم متواصل من كل الاتجاهات فلما تسنى للعدو التغلب عليه شقت ثغرة في خطوط الانجليز سعتها عشرة أميال . ولكن كان لا يزال متوقفاً — تبعاً لتقارير المخابرات الكثيرة — أن رومل قد ينسحب وإن كان القائد المحلي والقائد العام نفسه لم يؤمنا لحظة واحدة بإمكان هذا ، وكانا محقين في ظنهما فقد جاء بكل قواته الاحتياطية في الغرب التي كانت تواجه الغزاة وبدأ يعمل مرة أخرى للحصول على النصر ، وكتحرك أولى حشد رومل جل مدرعاته والفيلق العشرين الايطالى فى تتوء لشرق المعر الذى شقه فى الالغام وجنوب المواقع التى تحتلها الفرقة الخمسون ، ولكنه لم يجرؤ على القيام بهجوم واسع النطاق حتى ينتهى من بير حكيم التى فى جنوب مواقعه ، ولهذا فان المرحلة الثانية للمعركة امتازت بمحاولتين من جانب الانجليز اولاهما استمرار الامساك ببير حكيم والثانية اخراق هذا التواء بهجمات مضادة .

وقد كانت القيادة الانجليزية العليا قد قررت القيام بهجوم تحويلى من القطاع الشمالى فى اتجاه الغرب والجنوب الغربى . ولكن القتال فى جسر الفرسان كان يشغل كل شىء فقد بنيت المدفعية الخيالة الملكية وكتيبة كولد ستريم جاردس تحت نيران مستمرة من سبع عشرة بطارية مدفعية محورية ... كما أن هذا مع ضياع موقع سيدى مفتاح فيما بعد سبباً لإغفال خطة الهجوم التحويلى ...

وقد تابعت حامية بير حكيم دفاعها بصورة تبعث على الاعجاب ، وطوال اليوم الثانى من شهر يونيو هوجم الموقع من الشمال والشرق بكل قوات الفرقة ١٠١ (تريستا) واجزاء من الفرقتين ١٧ و ٢٧ ثم نحو الخمسين دبابة ، وقد

استطاع الفرنسيون أن يردوا كل هذه الهجمات ، وعوون الفرنسيون في هذا الدفاع ببعض القوات التي كانت تعمل خلف مؤخرة الألمان ولا سيما اللواء الميكانيكي السابع ، وجدد الايطاليون هجومهم بمعاونة دبابات المانية وعدد من قاذفات القنابل المنقضة ولكن دون الحصول على أى نجاح ، وفي هذا اليوم نفسه اشتبكت المدفعية الملكية الخيالة الأولى مع الدبابات الألمانية ودمرت ١٧ دبابة ولكن هذا الاشتباك في الشمال لم يوقف مهاجمة بير حكيم ، وقد شهد اليوم الرابع نفس القصة ، وفي هذه الأيام الثلاثة الحرجة استطاع السلاح الجوي الملكي أن يدمر ثلاثين طائرة للبحور بينها أغلب قاذفات القنابل المنقضة المستخدمة في الهجوم ، وقد قوى هذا التعاون الجوي من عزيمته المدافعين فبعثوا برسالة لاسلكية للايرمارشال كورننجهام بشكرهم .

وقد اعتبر هذا أكثر من نصر دفاعي محلي . على أن الألمان — من جانبهم — ارغموا على أن يوقفوا قواتهم لغرب الغرب — زالة حتى يستطيعوا معاونة الهجوم في الجنوب ، ولهذا باتت الفرقة الأولى جنوب أفريقيا واللواءان الباقيان من الفرقة الخمسين طليقة للقيام بالهجوم ، وقد وجد الألمان أن قواتهم قيدت في أمكنتها وانها باتت أبعد عما كانت في أى وقت عن استطاعة متابعة التقدم نحو طريق ، فان محاولة الاختراق نحو طريق تتطلب حشد كل قواتهم المدرعة وبذلك تترك مشاتهم تحت رحمة القوات الانجليزية المحيطة بها من الشمال والغرب والجنوب ، ثم أن عملية التقهقر باتت أكثر صعوبة : فان كل القوات المدرعة والمدفعية ستحتاج للقيام بعمل الساقه وبذلك تقع المشاة وقولات التموين في قبضة القولات الانجليزية التي

تعمل أمام حقول الالغام الانجليزية ، ولهذا يمكن القول اجمالاً بأن قوة
المبادأة كانت تنتقل الى الجيش الثامن ..

وكان الوقت قد حان لهجوم مضاد قوى . وقد يكون هذا صحيحاً حتى لو
كان رومل يحشد قواته للقيام بهجوم جديد — وهو ما حدث فعلاً — لا
الانسحاب ، وقد قدر الجنرال ريتشى ثلاث مسائل تبادلية : فاما أن يرسل
فرقة جنوب أفريقيا الأولى والفرقة الخمسين من مواقعهما للغرب ثم للجنوب
ضد مؤخرة العدو ، وإما أن يوجه الفرقة الخامسة الهندية مع بعض القوات
المدرعة في دورة واسعة جنوبى بير حكيم وحول قوات المحور التى تقوم
بمهاجمة مواقع الفرنسيين الأحرار فتقوم هذه القوات بمهاجمة مؤخرة مهاجمي
المحور ، وإما أن يقوم بمهاجمة التواء الألمانى من عدة نقط في وقت واحد
لاختراقه ، وأخيراً تم الرأى على اختيار الخطة الثالثة ، ولا شك أن هذا قد
أعاد لأذهان الكثيرين ولاسيما أفراد الفرقة الخمسين ، خطة فيجيان في معركة
فرنسا ...

وانتهت خطة الجنرال ريتشى أخيراً إلى شىء وفي ليلة ٤/٥ يونيو قامت
كتيبتان من الفرقة الخمسين يعاونهما اللواء الدبابات الثانى والثلاثون بالهجوم من
اتجاه الشمال ، كما قام لواءان من الفرقة الخامسة الهندية يعاونهما اللواء الثانى
والعشرون وأربع آلايات مدفعية بالهجوم من الشرق ، وقد فشل الهجوم
الشمالى فقد بعثرت المشاة بنيران مدفعية المحور قبل أن تستطيع الاقتراب
أما الدبابات فقد تعثرت في حقول الغمام غير معروفة أو محددة قبل أن
تصطدم بخط من للمدفعية والدبابات الألمانية ، أما الهجوم الذى جاء من الشرق
فقد وصل إلى بير الطمار حيث أوقف تماماً ثم تعرض لهجوم مضاد قوى في

اليوم التالي وبعثر تماماً بعد أن فقدت كل المدفعية ومنها الآلاى ١٠٧ من المدفعية الملكية الخيالة الذى استمر جنوده يقاتلون بالمدافع حتى لم يبق منهم إلا ضابط وجندى واحد كما قاتلت المشاة وعلى الأخص (هايلاند لايت انفانترى) لآخر رجل

وجاء يوم ٦/٥ يونيو أسوأ جداً مما سبقهما من أيام فإن فشل الهجوم الذى وجه ضد الثنوء الألمانى كان بداية هزيمة عامة أكبر ، وكان رومل دون شك قد حصل على نصر دفاعى فقد استطاع الإبقاء على الثنوء الذى أحدثه كما انه لم يرغم على إضعاف الهجوم الذى كان يوجهه ضد بير حكيم ، وقد هوجمت مواقع الفرنسيين فى أيام ٦ و ٧ و ٨ بعنف ولكن بالرغم من أن الكثير من الطرق الداخلية المحلية استعيدت نتيجة للهجمات المضادة ، إلا أن الحامية كانت تواجه مشاة كل كثيرة . حتى يوم ٩ يونيو كانت قوافل التموين تصل بالبر إلى بير حكيم كما أن الحامية لم تحرم قط من معاونة السلاح الجوى أو القولات التى تعمل من خارج المواقع الدفاعية ، ولكن وجد من الضروري فى هذا اليوم أن تمد القوة بالتموين اللازم لها من الجو

ومرت ست وثلاثون ساعة أخرى وفى ليلة ١٠ / ١١ كان لزاماً تبعاً للافتقار إلى التموين وبسبب الاجهاد البدنى للجنود ، أن تسحب الحامية ، وأصدر الجنرال ريتشى أوامره بإخلاء بير حكيم ، وقد أمكن بمعاونة اللواء السابع الميكانيكى أن تنسحب المقدمة المكونة من النى جندى دون أى تدخل من جانب العدو ، أما المؤخرة التى كانت تحاول أن تسحب معها مدافعها فقد اشتبك بها العدو ومع هذا أمكن أن تقاتل منقدمة فى طريقها للشرق واستطاع الف جندى النجاة . . وقد تولت فتاة انجليزية هى مس سوزان ترافيرس قيادة سيارة الجنرال كوينج وعندما وصلت سيارته إلى المنطقة الأمامية كان

بها أحد عشر ثقباً من رصاص العدو وقد اعتبر هذا الانسحاب من وجهة نظر كلا الجانبين المتضادين على أنه نقطة التحول في المعركة إذ كان دليلاً على فشل عملية الهجوم المضاد التي قام بها الجيش الثامن كما كان دليلاً على أنه فقد قوة المبادأة التي كان قد حمل عليها ، وكان في استطاعة الألمان أن يجمعوا قواتهم لآى تقدم جديد ، وقد فعلوا هذا لأول وهلة وتقدموا نحو عكرمة وبذلك شطروا الجيش الثامن شطرين ، ومن تلك اللحظة كانت الأفضلية في نوع القوات المدرعة ومعداتها في صف الألمان ، ولم يكن من الممكن استعادة هذه الأفضلية بالعدد الصغير الموجود من دبابات جنرال جرانت ..

ولإن اليومين التاليين حشد رومل قواته في منطقة عكرمة — العدم وإن كان تقدم وحداته شمالاً من بير حكيم قد كبدته خسائر كثيرة للجرأة التي كانت تعمل بها اللوحدات المدرعة الثانية والرابعة والثانية والعشرون والتي كانت من ناحية أخرى قد ضعفت قواتها كثيراً ، على أن المحوريين كانوا قد وصلتهم إمدادات جديدة ، بالفرقة الإيطالية المدرعة ١٣٣ ليتوريا وبذلك كانوا من الناحية العددية مساوين للانجليز في المدرعات ولكن من ناحية التفاضل في القوة والمعدات كانت أفضليتهم الأولى قد زادت بدرجة كبيرة ، وفي نفس الوقت بدأ بوضوح أن التورات البريطانية مبهترة في مواقع كثيرة وإنها بهذا تراجعت ، خطر تدميرها فرادى ، ولهذا أمرت فرقة الغزاة يوم ١٤/١٣ يونيو بالانسحاب وقد وصلت جنوب أفريقيا ، إلى طبرق تحت سائر الفرق المدرعة التي في علوة الطمار وعكرمة والقتال المجيد الذي قام به اللوحدات الثانية والعشرون المدرعة والآلى الدبابات الثامن ، ولكن الفرقة الخمسين كانت تواجه دوراً أصعب لأنها كانت تبدأ من أبعد من هذا للجنوب ، بعد انسحاب قوات جنوب أفريقيا ، ولهذا فقد اتجهت غرباً من وسط مشاة

الاطالين ثم دارت للجنوب ، وبعد دورة واسعة حول بير حكيم وصلت
ماديلينا يوم ١٥ يونيو ، وفي أثناء هذا كان صدام المدرعات يسير باستمرار من
سى إلى أسوأ

وقد قيل إن يوم ١٣ يونيو هو أسوأ يوم بالنسبة للقوات المدرعة الانجليزية
ولا شك أنه كان يوماً سيئاً ولكن التقارير الصحيحة تدل على أنه لم يكن أسوأ
من أيام أخرى بل لم يكن سيئاً كبعضها ، وأن الجيش الثامن قد تكبد قبل
هذا التاريخ وبعده خسائر كثيرة دون أن يكون قادراً على أن يكبد العدو
خسائر مماثلة ، والواقع أن هذه الخسارة إنما كانت نتيجة محاولة القتال في
معارك دبابية تجاه دبابة حيث تكون الأفضلية في صف الدبابات الألمانية
الأكبر ثقلًا والأقوى تسليحاً بما معها من مدفعية مضادة للدبابات

والصحيح أن الدبابات يجب استخدامها كسلاح للمناورة ، وليست قوة
الدبابة في تدريبها وحسب وإنما فيما تحمل من أسلحة فإذا تفاوتت زنة القنابل
التي تطلقها الدبابات في جانبيين متضادين وجب أن يقاوم التعادل على أساس
المدفعية المضادة للدبابات ،،، وأعل هذا هو العامل الاساسى للدفاع التى من
عيار ٦ رطل)

وربما كان أصل قصة الاعتقاد بأن يوم ١٣ يونيو كان أسوأ يوم هو أن
جسر الفرسان — الذى كان لواء الحرس ٢٠٠ يدافع عنه بجراحة — قد اخلى
في يوم الرابع عشر ، ولكن يجب ألا يغيب عنا أن لواء الحرس قد بقي
يدفع العدو عن جسر الفرسان أربعة عشر يوماً وأنه قد انسحب بكل شيء
عدا مدفعين ، وأنه بعد هذا الانسحاب بدأت المواقع الانجليزية المنعزلة تستط
فان الوردستون بعد دفاع مجيد انسحبوا إلى طبرق ، أما العدم فلم تخل حتى استطاعت
راجبوتانا رايقلز السادسة أن تتخلص من الألمان بعد هجوم مضاد موفق ..

الفصل السادس

سقوط طبرق واجتياز الحدود

على أن الجنرال اوكنلك كان قد قرر أن يفعل ما فعله رومل من قبل في اجدابية ، أى الانسحاب إلى خط بعيد في الخلف لمقابلة الامدادات التي كانت في طريقها اليه ، وكانت خسارته في القوات المدرعة قد ارغمته على أن يترك كل المواقع الامامية عدا طبرق وكانت الفكرة هي الابقاء على طبرق وان كان الدفاح عنها في العام السابق قد تكلف ثمناً باهظاً في السفن ولم يكن في استطاعة الاسطول أن يحتمل ثمانية تموين الحامية ، ولكن في هذه المرة كان بها تموين مخزون يكفيها ثلاثة شهر وبالرغم من أنه سيتمكن عزلها إلا أن هذا العزل سيكون وقتياً

وكان الرأي أن تقوى القوات التي على الحدود ، على أن تعد قوة ضرب قوية ورام هذا الستار ، وهذه القوة تتقدم في أقرب فرصة لتتصل مرة أخرى بحامية طبرق للعمل على تطهير برقة من المحوريين ، ولم يكن هناك في الواقع الوقت الكافي لإعداد المواقع الدفاعية في طبرق ولكن هذه الدفاعات اثبتت مرة قبل هذا أنها منيعة ، إلا أنه كان من المنطق الظن بأن رومل سيوجه الجزء الأكبر من قواته للإمام نحو الحدود ، ولهذا لم يكن في استطاعته أن يهاجم طبرق بقوة ، على الأقل قبل مرور بعض الوقت إلا أن الروح المعنوية للجيش لم تتأثر بهذا التحول المعاكس في المعركة

وفي الأيام الخمسة التالية قامت القوات المتقهقرة بعمليات محلية ناجحة ضد العدو المتقدم ، وقد اجتازت القوات التي لم تعين للدفاع عن طريق أو للقيام بتعطيل تقدم العدو — الحدود ، وكان العدو يتقدم في قولين أساسيين الأول على طريق كابوتزو والثاني على الدرب من العدم إلى بير سفرذن ، على أن هذين القولين عندما تأكدا أن القوات التي على الحدود ليست في قوة تسبب قلقاً خطورتهم ، دار كلاهما واتجها نحو طريق من الغرب ...

وكانت تحتشد في تلك القلعة الحصينة إذ ذاك حامية يبدو أنها قوية ، ولكنها لم تكن في الواقع قوية لدرجة تكفي للدفاع عن نطاق دفاعي يمتد خمسة وعشرين ميلاً ولا سيما أن أفراد نصف القوات وأغلب المدفعية لم تكن لديهم دربة كافية ... كان فيها لواءان من فرقة جنوب أفريقيا الثانية ولواء المشاة الهندي الحادي عشر ولواء الحرس واللواء الثاني والثلاثون من دبابات الجيش ، كما أن اللواء الميكانيكي السابع وآلاف الدبابات الملكية السادس وكل الدبابات الباقية من اللوائين المدرعين الثاني والثاني والعشرين كانت كلها في جوار طريق تغطي الانسحاب إلى الحدود ، على أن هذه القوة الصغيرة بعد معركة عنيفة مع كل قوات المحور المدرعة دفعت دفعاً للشرق وبذلك كانت غير قادرة على معاونة حامية طريق ...

وفي بكورة يوم ٢٠ يونيو قذف قطاع الدودة في النطاق الدفاعي بغلالة ثقيلة من نيران المدفعية ، وكانت تحتل هذا القطاع بنادق الجوركا السابعة والمهراتا والسكرتون هايلندرز ، وقد تبع هذه الغلالة تدمير جوى شديد عاون على نفس حقول الألغام الواقعة ، ووجه هذا التدمير الجوى بعد ذلك نحو مواقع المهراتا ، ولم يكن في الإمكان تقديم أي وقاية جوية ضد هذا التدمير الجوى فان السلاح الجوى كان مرغماً أخيراً على الانسحاب إلى مطارات أبعد

من مدى عمل طائرات القتال .

وما لبثت طبرق حتى سقطت . .

ويصف ضابط انجائيزى من الجيش الثامن كان عائداً من بريطانيا إلى الشرق الأوسط على ظهر حاملة جنود شعوره إزاء هذه الكارثة بقوله : لقد شعرت بيد باردة فوق قلبي ... اننى أحس بشقاء . لقد سقطت طبرق ... وهذا شئ يصعب تصديقه . لقد كنت أعبت بعصية فى أجهزة الاسلامي باحثاً فى الهواء عن تفاصيل جديدة أكثر مما أذيع ولستكن كل هذا . كان بلا جدوى ، وكل ما علمناه هو أن رومل قد اخترق دفاعات طبرق نهار أمس وأن المعركة قد انتهت فيها ... ان الاسئلة كثيرة ويمر اليوم كله فى أسئلة لا تلقى اجابة ... انها ضربة مخيفة ... ،

ولعل الجزء الأسوأ فى الضربة إنما كان فى استيلاء العدو على كميات كبيرة من الامداد والتموين ، فان طبرق كانت مستخدمة كقاعدة أساسية للهجوم الذى كان قد أعد من مواقع الغزاة ، وقد حرق المستودع الرئيسى للبترول ولكن كانت هناك ركاب فوق ركاب فى ارتفاع الأهرام من الأغذية والقنابل وغيرها من المواد والأدوات وكل هذه قد حصل عليها العدو وأغلبها سليم كما هو .. ولا يمكن أن يكون هناك دليل على الروح القوية التى للجيش الثامن أكثر من سرعة تغلبه على هذه المحنة . على أن الصعوبة كانت فى أنه من الضرورى أن تمر أربعة شهور على الأقل بين إرسال أى امدادات من بريطانيا أو الولايات المتحدة ووصولها اليه ، أى أن المسألة لم تكن مسألة أسابيع أو ايام . على أنه لحسن الحظ كانت سبل الامدادات فى الرجال والأدوات قد بدأ يرسل قبل النكبة بكثير : فى الأسبوعين الأخيرين من مايو والاول من يونيو تركت الفرقتان الرابعة والأربعون والحادية والخمسون أرض بريطانيا وكان على الطريق كذلك عدد كبير من المدفعية ، رطل والدبابات الجديدة ، كما أن

القيادة العليا كانت تستطيع أن تقتطع بعض الامدادات من نواحي أخرى في الشرق، الأوسط ويمكن أن نذكر منها الفرقة التاسعة الاسترالية والفرقة الثانية النيوزيلاندية ولواء المشاة الثامن عشر الهندي. ولكن الفرقتين الانجليزيتين والدبابات الأمريكية والمدافع المحمولة على عربات، كل هذا لا يمكن انتظاره قبل أواخر يوليو أو أوائل أغسطس

وكان فقدان طريق مع عدد كبير من الجنود ثم قلة عدد الاتوات المدرعة الانجليزية الباقية قد جعل مواقع الحدود التي اقترح الوقوف فيها، غير صالحة. فقد بات من السهل الإحاطة بها لعدم وجود احتياطي قوى خفيف الحركة، ولهذا صدر الأمر بالتعبئة لمسافة ١٢٥ ميلا للشرق نحو مطروح مع ترك قوة للتعطيل في منطقة السونم وما اكتسب الوقت لانسحاب القوة الأساسية، على أن القائد العام في نفس الوقت قرر أن مطروح لا يمكن الدفاع عنها، (لأن تنظيم الدفاع قد وضع على أساس أن تحتلها مشاة تعاونها قوات مدرعة تعمل في جنبيها الجنوبي وبدون هذه القوات السائرة القوية لا تكون أكثر من مصيدة للقوات) فتكرر مأساة طريق (إلا أن مطروح في الواقع مكان جيد لعملية أخرى من قتال السافة)

وقرر رومل أن يضرب بسرعة وأن يوجه كل القوة التي لديه نحو مطروح وفي هذا القرار تغلب على موسولينى ونفر من أركان حربه الذين كانوا يرون ضرورة التوقف عند الحدود حتى تصل الامدادات، واندفع رومل بقواته في قولات على الطريق الساحلى، وعلى طول السكة الحديد، وعلى حافة الهضبة.. ثم إلى الجنوب من هذا نحو بير الكنايس، وكانت في المقدمة فرقتاه الالمانيتان المدرعتان وفرقة ارييتى وفرقة ليتور يا ٣٣ الايطالية المدرعة والفرقة ٩ المتقيقة ثم الفرقة الايطالية الميكانيكية الثانية بعد المائة، وبد

يومين من سقوط طبرق اضاف لهذه القوات أربع فرق ايطالية كاملة من المشاة .

وكان يواجه هذا كله اللواء المدرع السابع واللواء الهندي الثالث المدرع ثم لواء من العربات المدرعة مكون من عدة وحدات ، وكان وراء هؤلاء في مرسى مطروح فرقة هندية والفرقة الخمسون (مكونة من الألوية ٦٩ و ١٥٢ وجنوب أفريقيا الأولى) وإلى الجنوب من هذا الفرقة الخامسة الهندية والفرقة النيوزيلاندية الثانية ثم لواء من العربات المدرعة مكون من بقايا اللواء الرابع والثاني والعشرين المدرعين

وقرر الجنرال أوكسليك بعد أن بدا بوضوح أنه لن يتوقف في مطروح أن يقف في العدين حيث يمكن أن يحمي منخفض القطار جنبه الأيسر كما يحمي البحر جنبه الايمن ، وكان إبان الصيف قد أعد في تلك المنطقة نواة مواقع دفاعية وبذلك كان قد جنى بسرعة ثمار بعد النظر بالاضافة إلى المهارة والنشاط الذي بذله الجنرال ويللوبي نوري وأفراد الفيلق الثلاثين في تحسين الدفاعات كما قرر أن يكبد العدو أقصى ما يمكن من الخسائر على الطريق حتى يصل . كانت الساعة حرجة ... ولهذا قرر أن يحمل على كتفيه مسئولية العمليات وفي الخامس والعشرين من يونيو تسلم من الجنرال ريتشي ادارة المعركة

وفي السادس والعشرين من يونيو كان رومل قد حشد قواته الأساسية في منتصف ما يمكن أن يسمى مواقع مطروح . كانت فرقة الألمانية على مسافة ٢٨ ميلا جنوب غربى مطروح وكانت القوات الايطالية المدرعة شرقى وغربى طريق مطروح — سيوة ، أما المشاة الايطالية فكانت على الطريق الساحلى لغرب مطروح ، وكانت هذه التوزيعات أشبه بتوزيعات المراحل الأولى في معركة الغزاة عدا أن العدو استطاع الوصول لمنتصف الموقع بالاختراق ،

وكان رومل بلا شك يأمل ان يعيد قصة طبرق . ولهذا ففي السابع والعشرين عندما هاجم الايطاليون المشاة مطروح من الغرب حشد رومل قواته في منطقة منجار القايم حيث كانت تستطيع الضرب للشمال ومهاجمة بعض القوات الانجليزية من الخلف ، وحاول القيام بهذه المناورة في اليوم التالي ، وهو وجه النيوزيلانديون بعنف خمس مرات متوالية ولكنهم لم ينزلوا عن بوصة واحدة من الأرض لا المشاة ولا للدبابات وعندما سقط الظلام وضع النيوزيلانديون سونكياتهم وقاموا بالهجوم في اتجاه الشرق فوصلوا العلين مساء التاسع والعشرين ، وقد استطاع ثلاثة المرية هنديّة القيام بعمل جرى مماثل كماقاتلت شاقة طريقها وسط أربع فرق للعدو . كتاب الاسكس و ١٠١ بالوك وراجيو تانا رايفلز السادسة ... (لاحظ أن المشاة سلاح يستطيع التسرب من بين قبضة القوات المدرعة وتكرار هذا في الغزاة وطبرق ومطروح يدل على أن القتال بدأ بيد في جرأة وروح قوية لا تزال له مكائته في التخلص من قبضة العدو) ... وتوصلت هذه القوات بدورها إلى منطقة العلين ...

الفصل السابع

الحفرة الاخيرة

كانت خير فرصة للعدو هي أن يقوم بالهجوم قبل أن يستطيع الجيش الثامن أن يستقر بعد هذا التمهق الطويل . بالصباح وقبل أن تصله الإمدادات ، ولهذا اندفع رومل بسرعة طوال يومى ٢٩ و ٣٠ فوصل فى مساء اليوم الأخير تجاه العلمين ، وفى اليوم التالى قامت الفرقة ٩ تعاونها فرقة تورنتو ونحو عشرين دبابة بهجوم متكرر على قطاع قوات جنوب أفريقيا وقد أمكن صد كل هذه الهجمات رغم التدمير الجوى الذى قامت به قاذفات القنابل المنقضة ، وإلى الجنوب كان موقع لواء المشاة الثامن عشر الهندى (فى بير الشين) عرضة لهجوم مماثل ، وعلى امتداد النهر صدت كل الهجمات أو عزلت بهجوم مضاد ، ولكن أثناء الليل أمكن التغلب على المقاومة بواسطة هجوم جديد وشقت ثغرة فى الخطوط الانجليزية

وكانت الأيام الثلاثة التالية حرجة للغاية ، وفى اليوم الثانى من يوليو بذلت محاولة لزيادة سعة الثغرة ودفع رومل بفرقته التسعين وغالبية مشاته الايطاليين ثم بثلاثة فرق مدرعة ضد قوات جنوب أفريقيا والفرقة الاولى المدرعة الانجليزية ، وقد تبادل المعركة طوال اليوم مدوجزر شديدا وتلقت الفرقة الاولى تهينة خاصة من الجنرال اوكنلك لغملها المجيد . . وقد ظن الالمان

ذات لحظة أنهم اخترقوا القوات الدفاعية فأصدروا بلاغا جاء فيه أنهم يطاردون
الانجليز المنهزمين نحو الاسكندرية . ولكن ما ذكره البلاغ كان غير صحيح
وكما مكنت هجمات ديسي وكاليرمان من اغتصاب النصر من بين فكي الهزيمة وان
في مارنجرة تقدم اللوائين الرابع والثاني والعشرين للغرب وللشمال جعلهم يهاجمون
جنب قوات المحور ، بينا اشتبك النيوزيلانديون واللواء الميكانيكي السابع
بنحو . دبابه للعدو ، كما أن جنود جنوب أفريقيا بدورهم انقلبوا من الدفاع
الى الهجوم ولهذا لم يكديأ في المساء حتى انسحب العدو تاركا المواقع الانجليزية
متناسكة .

وقام رومل بمحاولة ثانية في اليوم التالي وفي هذه المرة احتل النيوزيلانديون
في شمال غربي باب القطارة الصدمة الأساسية في الصباح ، كما واجهت الفرقة
الاولى المدرعة الطعنة الأساسية ضد الهضبة التي لجنوب محطة العليين بعشرة
كيلو مترات في المساء ، وقد أمكن صد الهجوم في كل مكان وخسر الألمان
٢١ دبابة و ٤ مدفعا و ١٦ طائرة من طراز ستوكامع . . . أسير ، وكانت رحي
المعركة قد دارت للجانب الأخير وكان قد ثبت صواب فكرة القائد العام في
مكان استعادة قوة المباداة ، ومن تلك اللحظة تبددت الأسطورة الخيالية بدخول
الاسكندرية في زهو المنتصر ، فلقد أمكن دفع قوات المحور بجنود مجيدين
ولكنهم رغم ارتبا بهم — لهزيمتهم الأولى — وجدوا القوة التي تمكنهم
من الثبات في الحفرة الأخيرة

على أن هذه القصة هي قصة الجيش الثامن أصلا . ولم نحاول قط التحدث
تفصيلا عن أعمال سلاح الجو الملكي ، ولكن لاشك في أنه لولا العمل العظيم
الذي قامت به الطائرات لما أمكن خلاص الجيش الثامن اطلاقا . فعندما كانت

لاحوال تتخرج بسرعة كانت الطائرات تخرج من مطار ثم تعود بعد عملها إلى مطار آخر بعيد في الخلف ، لأنه أثناء الساعات القليلة التي تقضيها في الجو يكون المطار الذي خرجت منه قد بات في قبضة العدو !

وهكذا اجتاز الجيش الثامن اعظم ساعة في تاريخه ، وكانت خسارته بما فيها حامية طبرق قد وصلت الى ما يقرب من ثمانين الف جندي ، ومع هذا كان لازال سليما ، بل على النقيض استطاع بمعاونة الامدادات التي كانت تتحرك نحوه بسرعة وبقوة ، أن يبدأ تمزيق قوات العدو

وفي القطاع الشمالي جنوبي محطة العلمين تعرض العدو لهجوم جوي شديد يوم ٤ يوليو ولهذا لم يكذب أنى المساء حتى كان العدو يتقهقر على طول ذلك القطاع ، وأبعد من هذا للجنوب ، استطاع الفيلق الثالث عشر طرد الجناح الايمن للعدو للوراء ، وفي بكورة الصباح التالي نجح اللواء النيوزيلندي الخامس في تطهير منطقة بير المحيسن مكبداً العدو خسائر فادحة بثمن قليل

وبدأ رومل يتقبل هذا التوقف ، ففي الخامس من يوليو بدأ الالمان يقيمون ستاراً ضد اندبايات من المشاة والمدافع عيار ٨٨ مم ، من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى على طول الارض المرتفعة عند المرير ثم تمتد بعد بير الحرا ، وفي هذا اليوم وصلت مقدمة الفرقة التاسعة الاسترالية الى الخط فوصل اللواء الرابع والعشرون الى القطاع الاوسط وبعد ايلتين اثنتين فقط قام باغارة ناجحة ، كما قام قول نيوزيلاندى بتقدم سريع حول موقع العدو فوصل فوقه ودمر أربعين طائرة في أرض المطار ثم عاد ثانية بخسارة بضعة أفراد فقط

وفي التاسع من يوليو قامت الفرقة التاسعة الاسترالية وفرقة جنوب

أفريقيا الأولى بهجوم كبير فوصلوا إلى أغراضهم في تل العيصى واحتفظوا بها ضد هجمات العدو المضادة، وأمكن بالعملية التي تمت يوم ١١ يوليو الاحتفاظ بكل هضبة تل العيصى مع الفئ أسير أغلبهم من الإيطاليين وتدمير ١٨ دبابة و ١٥ مدفعاً، ولكن فشلت المحاولة التي قامت بها القوات المدرعة لاستثمار هذا النجاح ...

وكان الموقف إذ ذاك قد وصل إلى درجة التعادل . وظل هكذا حتى بدأ رومل هجومه الكبير في ٣٠ أغسطس، إلا أن كلا من الفريقين لم يكن الموقف يروقه ولهذا حدثت معارك عنيفة من أجل المواقع، وقام الإنجليز بثلاث هجمات متوالية الأولى بين ١٤ و ١٧ يوليو أمكن بها الاستيلاء على أغلب هضبة الرويسات ولكن تل العيصى تبادلتها الأيدي ثلاث مرات وأخيراً (فيما عدا الزاوية الهامة شمالى جسر السكة الحديد) بقى ملكا للبحوريين، وإن كان في إحدى هجماته المضادة يوم ١٦ خسر ٢٥ دبابة في نظير لاشئ من الجانب البريطانى

وكان الهجوم الثانى أكثر خطورة فقد بدأ بفكرة اختراق دفاعات الالمان . وبدأ هذا الهجوم ليلة ٢١/٢٢ يوليو، وبعد قتال عنيف لمدة ٢٤ ساعة بالفرقة الخامسة الهندية واللوائين الخامس والسادس النيوزيلانديين واللوائين المدرعين الثانى والثالث والعشرين فشلت محاولة الوصول الى الحد الشرقى لمنخفض دير الشين كما فشلت محاولة تطهير هضبة الرويسات تماماً، أما فى الشمال فاستولى الاستراليون ثانية على تل العيصى ولكنهم دفعوا عنه يوم ٢٣، وفى الجنوب اقتحم اللواء ٦٩ المشاة هضبة الطاسه ولكن غالبيتها أخليت فى الصباح، وكانت النتيجة العامة لكل هذه العمليات لا تبعث

أى أمل فقد فقد الانجليز ٦٠ دبابة و ٢٤٠٠ جندي كما خسر المحوريون خسائر فادحة عدا الاسرى ولكن لم يكن هناك أى تقدم مادي ، هذا عدا أن العدو وجد قوياً بدرجة كبيرة

وفي ليلة ٢٦/٢٧ يوليو بذلت محاولة أخرى . وكانت الخطة هي شق ثغرة للقوات المدرعة الانجليزية في حقول الألغام الألمانية — على أن يصحب هذا بهجوم مخادع في القطاع الأوسط ، وقد رُمعت الألغام كتيبتان من جنوب أفريقيا واجتازت الثغرة كتيبتان من اللواء ٦٩ هما دارهام لايت انفانترى وايبست يوركشير وقد دمرتا اللواء ٢٦١ الألماني تماماً في قتال بالسونكي ، ولكن الى أبعد من هذا للشمال ، أوقف هجوم اللواء ٢٤ الاسترالي وبصعوبة استطاع التخلص تحت سائر من آلاى الدبابات ٥٠ ، وكشف هذا التوقف جنب اللواء الذي استطاع بدوره التخلص بصعوبة تحت سائر الفرقة الاولى المدرعة ، وكانت الخسائر فادحة فقد خسر الانجليز ٧٠ دبابة بين مدمرة ومعطلة واعتبر الف استرالي مفقودين

وسكن كلا الجانبين . (... ولكن الواقع ان هذا القتال كان تجربة لتكتيكات جديدة كان الانجليز أسرع في الانتفاع بها من رومل فان هذا القتال قد وضع أصلاً لتجديد المعارك المائعة ولكن لم ينجح أى منها في اختراق الدفاع ... وبذلك بدا بوضوح أن القتال — على الاقل في الصحراء الغربية — هو قتال مدفع ولغم وجندي بزيادة وأن الدبابة لم تعد سيدة ميدان المعركة)

على أن هذا السكون لم يكن من خلق رومل بل انه كان يضايق الجيوش التي يقودها ، فقد أفقدها السكون الأمل الكبير الذي كان القائد الألماني يبته

فها ، ثم أن موسولينى كان قد أسرع الى أفريقيا ليرأس طابور النصر فى الاسكندرية والقاهرة وكانت قصة رحيله الى بنغازى ودرنة للقيام بحولة تفتيشية صعبة التصديق ، وأخفيت الآلات الموسيقية النحاسية التى كانت قد أرسلت بسرعة لشمال أفريقيا ، وحولت سرايا المهندسين الخاصة بالكبارى والتى جاءت استعداداً لاقامة المعابر على النيل الى سرايا مهندسين عادية تعمل فى بث الالغام ! ولكن الواقع أن كل شىء قد ضاع لأن رومل — رغم الصورة الرائعة التى رسمها له جوبلز — كانت له أخطاؤه كقائد ، وأهمها أنه يكرر دائماً تكتيكات واحدة ولهذا كان من السهل أن يحزر خصمه ما يحاول أن يفعله ...

الفصل الثامن

لا انسحاب... لا... ثم لا

بقى الجانبان طوال أغسطس يعملان بهمة في إعادة التنظيم ومد حقول
الألغام وزيادة عمقها ثم جمع الامدادات ومراجعة المعلومات ، وفي الخامس
من أغسطس زار مستر تشرشل الجيش الثامن وقد جاء وفي صحبته المارشال
سمطس والمارشال ويفل . وكان كل فرد في الجيش الثامن يسأل نفسه ...
تشرشل — ويفل — سمطس ماذا يمكن أن يعنى هذا ؟ لا بد أن الأيام
القادمة ستكون أياما عظيمة

ولاشك أن المستقبل القريب كان يبشر بمثل هذه الأيام وبدأت أول علامات
لها في إعادة تنظيم القيادة .. ثم الجيش . ولعل من أصعب الواجبات في العالم
تنظيم الحشوش والمعارك على قاعدة النقل ، بأن يخلق قائد الطريق ليخلفه في
في قيادته قائد آخر . على أنه لم يكن هناك أقل تقصير في الإعجاب بالطريقة
التي حول بها أو كمثل المعركة من الهزيمة المنكرة ، ولكن كان يبدو نتيجة
للتوزيع السريع للقيادات (الأمر الذي يحس على الرغم من ارادة المسؤولين)
للاتساع الكبير الذي اعتور الجيش البريطاني الصغير ، بسبب الحرب (أن
الرجل الأصلح لهذه القيادة لم يكن قد وجد بعد

ولهذا تقرر أن يكون الجنرال الكسندر — آخر رجل ترك دنكرك
والرجل الذي استطاع أن ينقذ القوات البريطانية الصغيرة وهى متماسكة من

بورما برغم القوات اليابانية التي كانت تواجهها — قائداً عاماً في الشرق الاوسط وأن يكون الجنرال «سترافر» جوت قائد الفيلق ١٣ قائداً للجيش الثامن ولكن لسوء الحظ قتل جوت عندما هاجمت طائرتا قتال المانيتان طائرة النقل التي كان عائداً بها الى القاهرة، ولهذا التي عبء هذه القيادة على عاتق الجنرال مونتجومري الذي كان يتولى قيادة في بريطانيا والذي اشتهر بقوة أخلاقه وباصراره على توفر الصلاحية البدنية في كل ضابط وجندي تحت قيادته ومنذ ذلك الحين بدأ الاشتراك المشترك بين الجنرالين الكسندر ومونتجومري هذا الاشتراك الذي كسب النصر الكبير الثاني في هذه الحرب — كان الاول هو تحرير شرق أفريقيا — بالتغلب على الالمان وإثبات عدم صحة الاعتقاد بأن القيادة الانجليزية مفتقرة الى التصور السليم وعلى التجديد ...

ويقودنا الحديث عن هذه الشركة التعاونية الى ذكر الايرتشييف ماريشال تيدر الذي استطاع — كقائد عام للسلاح الجوي في الشرق الاوسط بالتعاون مع الايرفيس ماريشال كوننجهام قائد السلاح الجوي في الصحراء الغربية — الحصول على برنامج تعاوني جوي كامل، وعلى تكتيكات جديدة للعمليات الجوية، وكذلك الاميرال هاروود الذي نسق بمهارة تأثير الاعجاب عمل الاسطول في الخطة العامة، ولا بد أيضاً من ذكر اثنين آخرين هما الجنرال ليندسل والبريجادير سيربريان روبرتسون اللذان نظما تموين وامداد الجيش الثامن وبذلك مكناه ذلك الحين من استثمار النجاح بعد كل عملية. وثبت أن الامداد والتموين هما سر النجاح في كل حرب، على أن كلمة «التعاون» تعتبر وصفاً غير دقيق عند التحدث عن العمل في هذا الطاقم. فان العمل كان أجمل وأروع من العمل التعاوني، بل كما قال الجنرال مونتجومري ولم يكن هناك عمليات تعاونية بل اتحاد تام وقوة واحدة لادراك غرض واحد.

وكانت هناك أشياء أخرى تبعث على تزايد الثقة ، فقد وصلت من بريطانيا
الفرقتان الرابعة والاربعون والحادية والخمسون ، كما أمكن اعداد فرقتين
مدرعتين جديدتين هما الثامنة والعاشرة ، وكانت الخسائر في الدبابات التي
تكبدها الجيش الثامن قد استعوضت كما أن جنود المدفعية المضادة للدبابات
« ضمدوا جراحهم » بعد وصول مدافع جديدة عيار ٦ رطل ، كما كان وجه
الصحراء يتغير يومياً تحت وقع آلات الرصف وجماعات عمال الطرق ، ولا شك
أن كل هذه الأعمال كان لها تأثيرها في الجيش

وكان رومل أيضاً يتلقى إمدادات ، وقد دلت بعض الاغارات على وجود
فرقة ألمانية جديدة هي الفرقة ١٦٤ وآلاى المشاة الألماني ١٢٥ وقد جاء
الاثنان من كريت ، كما جاءت تشكيلات كثيرة من جنود المظلات الايطاليين
والألمان واستخدم هؤلاء وقتياً كمشاة ، كما استخدم الكثير من العائمات إلى
حد كبير وبذلك استطاع احضار عدد كبير من الدبابات والمدفعية وبعضها من
المدافع الروسية التي غنمها الألمان في الحرب وكان لديه أيضاً عدد من
المدافع الانجليزية عيار ٢٥ رطلاً كان استولى عليها أثناء تقدمه ، ولكنه رغم
هذا التسليح القوي كان في موقعه وتوزيعاته قد ضعف بعض الشيء ، من عمل
رومل نفسه ، وقد تحدث القائد الألماني كثيراً عن « أن مقبض الباب في يده »
والواقع أنه كان يظن كل شيء في الهجوم ، وكان كل ما لديه من القوات
في الأمام ، أما حقول الغمامه فبالرغم من كثرتها وعمقها ، لم تكن موضوعاً دائماً
في حالة جيدة

وكان كذلك في موقف سيء من ناحية التموين فهو طوال الاسابيع
الاخيرين من أغسطس تكبد خسارة فادحة في الرجال والأدوات المرسلة

اليه بما صب عليه الأسطول والسلاح الجوى. ففي ليلة ١٧ / ١٨ أغسطس حرق مستوعا بترول في طبرق وفي اليوم الثامن أغرقت سفينة حمولة ٧٠٠٠ طن كانت مثقلة باللوريات ، وفي ٢١ أغسطس أغرقت طائرة من مالطة سفينة بترول كانت مرسله له كما أصيبت ناقلة بترول أخرى

وفي ليلة ٢٩ / ٣٠ أغرقت ناقلة ثالثة ، وفي يوم ٢٨ قذفت أربع سفن تجارية المنحور بالطوربيد كما دمرت الطائرات مستودعات البترول في الضبعة ، وفي يوم ٢١ دمرت ٤ سفن تجارية أخرى وطوال كل هذا الوقت كانت السفن التي تعمل في المياه الساحلية عرضة لهجوم جوى مستمر .

وقد قال الأسرى الذين عادت بهم دوريات الجيش الثامن أنه كانت هناك خطة للهجوم يوم ٢٥ أغسطس ولكنها لم تنفذ ، وفي الليلة التالية قام النيوزيلانديون بإغارة موفقة على الايطاليين في منخفض دير المري ، وقد بدا بوضوح أن العدو يفتقر إلى التموين ونقص الوقود ، وربما كان لديه ما يكفي للهجوم سريع ، كان يأمل في أن يستولي عليه على وقود أو يصله مدد من الوقود يكفي لمتابعة الهجوم ، فإذا كان هذا الظن صحيحاً (الواقع أن هجومه في آخر أغسطس أخفق لأنه فشل في الاحتفاظ بوقود كاف) فإن إغراق ناقلات البترول يكون من أهم أسباب هزيمته ، ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد لأننا لا نستطيع أن نغفل مهاراة القيادة العليا في إعداد الستارة المؤثرة من المدفعية المضادة للدبابات ثم التنظيم الدقيق للهجمات المضادة التي اكتسحت هجومه

وكان الجيش الثامن قد ولد ثانية في الفترات التي مرت بها هذه المعارك

الكبرى في منطقة العليين

وفي الثامن والعشرين من أغسطس عقد الجنرال مونتجومري مؤتمراً حضره الضباط القادة كمقدمة للهجوم الذي كان يبدو بوضوح أن رومل على وشك أن يبدأ، وفي مقدمة الحديث قال الجنرال مونتجومري « ولن يكون هناك أى انسحاب ... لا انسحاب مهما حدث .. لا ... ثم لا ، ثم بدأ يدلى بآرائه الشخصية في رومل فقال « أنه قائد قادر ولكن نقطة الضعف التي فيه هي رغبته وميله الى تكرار أساليبه التكتيكية ... إن له عقلاً ليس له إلا طريق واحد للتفكير ،

وقد ثبت أن هذا التقرير المبكر صحيح من كل الجوانب، عندما بدأ رومل هجومه الجديد ليلة ٣٠ أغسطس

الفصل التاسع

آخر ضربات فيلق أفريقيا

كانت تكتيكات رومل في هذا الهجوم تكراراً لتلك التي نجحت في الغزاة ، فقد كانت قوة الضرب مكونة من كل قوات المدرعة (نحو ٥٨٠ دبابة) ثم خير مشاته ، واستخدم عدداً كبيراً من المدافع مع لوريات حملة يتفاوت تقديرها بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ ، وكان على قوة الضرب هذه أن تخترق مواقع الجيش الثامن في الجنوب ثم تندفع للشمال وراء خطوطه فتدمر أو تطرد القوات الانجليزية المدرعة ثم تسحق المشاة المنعزلة ، فإذا لم يصل إلى الساحل في أول اندفاع فيجب أن يخدع الانجليز ليقوموا بهجوم مضاد فيدمرهم تماماً بمدفعيته الثقيلة المضادة للدبابات

وكانت خطة الجيش الثامن على أساس توقع ما حدث فعلاً (لاحظ خطورة تكرار القائد لتكتيكاته في عدة عمليات متتالية لأنه يفقد بذلك عامل المفاجأة الاستراتيجية) فكان على اللواء المدرع الرابع الخفيف وبعض عناصر الفرقة السابعة المدرعة أن تعطل حركة التطويق الأساسية على أن لا تصطدم بعنف بقوات رومل المدرعة بل تنسحب تاركة دباباته تمر ثم تحتشد لتدمير حملاته الميكانيكية التي تكون قادمة خلفها ، وفي ذات الوقت يتحمل المشاة الذين في الخنادق والمدفعية الثقيل الاساسي لهجوم قوات المدرعة بينما تعمل بقية القوات المدرعة الانجليزية والتي تكون قد اتخذت مواقع

دفاعية قرية مستورة ، للعمل كمدفعية خفيفة الحركة

وقبيل منتصف ليل الثلاثين من أغسطس هوجم اللواء الخامس الهندي وكتيبة ويست بوركشير في هضبة الرويسات بالمشاة والمدفعية ، وقد وصل المحوريون إلى المواقع الأمامية ولكنهم أوقفوا بمعاونة كتيبة من آلاي الاسكس ، وقد ووجه جنود جنوب أفريقيا في منطقة دير الشين بهجوم مماثل نجحوا هم أيضاً في إيقافه ، ويبدو أن هذه الهجمات كانت لتحويل الانتباه فقط وفي الساعة الثمانية صباحاً أبلغت الفرقة السابعة المدرعة أن قوات كبيرة ترفع حقول الألغام حول الخيمات ، وكان هذا هو العمل الأساسي ، كان فيلق أفريقيا قد بدأ رحلته إلى القاهرة ، الرحلة التي جاء على لسان الأسرى أن رومل قد وعدهم بها

وحوالي منتصف اليوم كانت قولات العدو الأساسية تتجاوز حقول الألغام الخارجية ، وقد قبيل الهجوم بنيران شديدة من اللواء الرابع الخفيف الذي قرر أنه دمر ٢٤ دبابة للجور ، وقد توقف أحد قولات الهجوم خارج حقول الألغام الداخلية ، وتقدم قول آخر للشمال حتى جنوب مواقع النيوزيلانديين حيث بدأت الفرقة التسعون الخفيفة الألمانية تحفر مواقع لها ... وجاء في صحيفتها جزء كبير من الفرق المدرعة الإيطالية بقصد الاحاتة بالقوات الانجليزية التي إلى شمال هذا ، ليظل الطريق مفتوحاً للالمان حتى منخفض القطارة في الجنوب ... وفي الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر توقف العدو للحث على القيام بهجوم مضباد ولكن عندما فشل هذا الهجوم اندفع المحوريون شمالاً وقاموا بهجوم عنيف سطر على اللواء الثاني والعشرين المدرع ولكن أمكن بمعاونة اللواء الثالث والعشرين المدرع صد هذا الهجوم وخسر الالمان ١٤ دبابة من ١٠٠ ، وحدث اضطراب

في صفوف المحورين وفي تقهقرهم تركوا ثغرة فسيحة بين مجموعتين من قواتهم المدرعة فانهزت الفرقة السابعة المدرعة هذه الفرصة للضرب على أجناب الألمان ، وقد حدث قتال عنيف فقد فيه الألمان ثلاثين دبابة أخرى ، وقد حاولت الطائرات الألمانية أن تعاون في القتال فحسرت ١٥ طائرة بينما فقد السلاح الجوي الملكي ثلاث طائرات فقط .

كانت نتيجة القتال في اليوم الأول مرضية من جانب الانجليز ، والواقع أن رومل بتكراره لتكتيكات التطويق مع التغافل عن حقيقة أن المنطقة ليست شبيهة بمنطاة الغزاة وأنها لا تسمح بمناورة واسعة ، قد وقع في صعب كثيرة ، فهو لم يكن يستطيع التوزيع لتقليل الخسائر بسبب التدمير الجوي ، فقد بقيت أسراب سلاح الجو الملكي تقذفه بقنابلها فاذا لقت حمواتها عادت الى مطاراتها لتحمل المزيد كما وجدت المدفعية المتوسطة أغراضا جيدة في القوات المحتشدة عند الحمات والى شمالها

وقد أضاف الألمان الى الصعاب التي كانوا يواجهونها تعرض عدد كبير من دباباتهم ولورياتهم في الرمال اللينة الهشة وبذلك أرغموا على استهلاك كميات كبيرة من الوقود لانقاذها من الحفر التي تنسكت فيها ... وطبيعى أن هذا الاستهلاك لم يكن متوقعا

وأهمية هذا في سير المعركة أن الألمان بدأوا القتال وهم يفتقرون الى الوقود ، والتموين الذي كانوا ينتظرونه قد أغرق على الطريق البحري ، ثم انهم لم يغموا جالونا واحداً كما أملوا ، ولهذا كان عليهم أن يختاروا احدهم أمرين : فاما التدمير والفناء وإما التقهقر السريع

وقد بدأ يوم أول سبتمبر بتدمير محكم لقوافل تموين المحور ، وطوال اليوم قذفت دبابات المحور ولورياته بالقنابل ، وقد قامت الطائرات بهذا

المهجوم حتى جامبوت وسيدى برانى فدمرت حاملات بترول كثيرة ، وقد
بقى العدو هادئاً تحت هذه النيران طول يومى ١ و ٢ سبتمبر إما لأنه لم يكن
يستطيع شيئاً وإما لأنه كان لا يزال يأمل فى الاغراء بالهجوم المضاد ، ولم
تستخدم القوات المدرعة الانجليزية شيئاً عدا مدافعها ، ولكن اللواء الرابع
والهوزارس الحادى عشر كانا فى غرب الحمايات يعملان على خطوط مواصلات
المحور ، كما كان الهوزارس الرابع واليومينرى جدمشغولين بضرب العدو
فى منطقة جاب الله .

وفى صباح الثالث من سبتمبر ظهر يوضح ان الاستراتيجية والتكتيك
الانجليزين قد نجحوا ، فقد انسحب العدو أثناء الليل الى دير الراجل
وراء ستارة واقية من المدفعية ، وقد ضوعف التدمير الجوى والارضى ،
وأغرقت سفينتان كما أحرقت ناقلة بترول كانت ثلاثتها قادمة من كريت
وبقيت بعض أجزاء قليلة من خطة العدو الاصلية لتنفيذ ، وفى ليلة ٣/٤
سبتمبر قبض على جماعة مكونة من ١٤ ايطالى نزلوا الى الساحل من قارب
من المطاط بقصد نفس الخط الحديدى غربى بحيرة مريوط ؛ هذا عدا أن
رومل كان لا يزال متشبثاً ببعض الاراضى التى استولى عليها عندما جاء من
حول الحمايات

وفى أثناء هذا كانت الفرقتان السابعة والعاشرة المدرعتان تدفعان
العدو ببطء نحو حقول الالفام الخارجية ، وقد تقهقر الألمان فعلاً للخلف
ولكن فى نظام جيد ودون خسائر فادحة ، وفى اليوم النالى تقبل رومل
الهزيمة عندما أعلن فى بلاغاته الرسمية أنه كان يقصد فقط عمل استكشاف
بقوة ، ولسوء حده ان الأوامر التى أصدرها قبل تقدمه للهجوم سقطت فى
يد الانجليز وكان حجر الزاوية فيها الجملة الآتية : (اليوم وقد أمد الجيش

بفرق جديدة سيقوم بهجوم جديد ليدمر العدو نهائياً ، وبذلك يكون قد قصد عملاً حقيقياً ولكنه فشل

وكانت آخر محاولة لرومل للوصول للاسكندرية قد فشلت ، فان خير ما كان لديه ليضعه قبالة الجيش الثامن لم يكن كافياً ، فقد خسر رومل ٥٣ دبابة دمرت تماماً غير العدد الكبير الذى دمر جزئياً واحتمله بعيداً لاصلاحه (وقد ذكر الجنرال فريبورج فى تقرير له سبباً أساسياً آخر للفشل عدا الافتقار الى الوقود ، هو أن التكتيكات البرقية فى أسلوب رومل قد افقدت المشاة والمدفعية قوة العمل الهجومى المستقل فقد باتوا تابعين للدبابات وفقدوا تماماً مهارتهم القديمة فى استخدام أسلحتهم الشخصية)

وخسر الجيش الثامن ١٠٠ دبابة منها ٣٠ من طراز جرانت ولكن كانت تنظيمات النجدة والاصلاح قد باتت جيدة .. ثم ان سبيل الامدادات كان متواصلاً فبعد أربعة عشر يوماً كان لدى مونتجومرى ٨٦٠ دبابة صالحة للعمل منها ١٨٥ جرانت و ١٠٨ شيرمان وأكثر من ٥٠٠ مدفع عيار ٢٥ رطل وبين المدفعية ٤٠٠ مدفع تقريباً عيار ٦ أرطال

وفى يوم ٧ سبتمبر بدا ان رومل قد أكمل انسحابه وتبعت مواقعه الأمامية فى مسرح الهجوم الأخير: الخط من دير المناسب — الحميات ، ولم تبذل أية محاولة لاقلاقه لأن الواجب الرئيسى للجيش الثامن كان اعداد القوة السكافية لهجوم كبير يقوم به

الفصل العاشر

مونتجومرى يستعد للضرب

على أن عمليات التثبيت الحقيقية الأولى إنما كانت كلها اغارات تجريبية بقوات تحملها السفن ثم تنزل إلى الساحل لتتعاون مع قوات تتسرب إلى البر ، وقد حدثت كلها في ليلة ١٣/١٤ سبتمبر ، ويمكن أن يقال عنها اجمالاً أنها لم تحصل على نجاح يمكن أن يعتد به .

كان الهجوم الأساسى على طبرق ، وقد تسرب بطريق البر قول من يومئذى السرى والسكس مع بعض رجال المدفعية المضادة للطائرات والخاصة بالدفاع الساحلى ثم داورية من داوريات الصحراء البعيدة المدى ، وقد قامت هذه القوات بمهاجمة نقطة قوية فى الطرف الشمالى لميناء طبرق واحتلتها ، رفى أثناء هذا كانت الجماعة التى تحملها السفن والمكونة من سرية من كتيبة ارجيلز وفصيلة من النورثمبرلاند فوزيليرز وبعض المهندسين ورجال المدفعية تتقدم فى قوارب الطوربيد ، وتبعاً لسرعة هذه القوارب فقدت الاتصال ببعضها البعض فى الظلام الحالك ، وبذلك وصلت القوارب إلى الساحل فرادى ، وتبعاً لعدم إدراك علامات التمييز الضوئية أطاق الانجليز الذين جاءوا بالبر النيران على هذه القوارب وأمكن فقط لجنود قاربين اثنين أن يصلوا إلى الساحل .

وفي نفس الوقت تمكنت المدمرات برغم المقاومة العنيفة أن تنزل بعض الجنود عند مرسى مطروح ، وقد أمكن تصيد المدمرات بأنوار البواعث الكاشفة ومع هذا استمرت المدمرات في عملها والاشتباك بمدفعية العدو الساحلية ففقدت القوة البحرية مدمرتين و٤ قوارب طوربيد وسفينتين بحريتين من طراز (اللش) وفقدت قوة الجيش وحدها ٣٨ ضابطاً و ٤١٩ صف وعسكري

ولم تستطع قوة أخرى تقدمت بطريق البحر تقصد بنغازي ، أن تصل إليها فقد تصدت لها قاذفات القنابل فاضطرت إلى الانسحاب نحو جالو، ووصلت قوة أخرى إلى مطار بارث ودمرت عدداً كبيراً من الطائرات ، ثم تجمعت هاتان القوتان وهاجمتا واحة جالو ولكن بعد قتال دام خمسة أيام بقي الانجليز حلوها يحتلون ركن الواحة ، أرغمت القوة كلها بسبب وصول إمدادات قوية للعدو على أن تتقهقر إلى الكفرة

أما في الجبهة الأساسية فقد مر سبتمبر كله بسرعة بعد أن أمكن صد هجوم رومل ، ولكن بالرغم من أنه لم يكن هناك قتال في مدى واسع إلا أن الطرفين كانا يعملان بنشاط ، فقد كون الفيلق العاشر الجديد في سرية تامة ، على أن هذا الفيلق لم يكن هو وحده الذي انتهزت فرصة هذا الهدوء لتدريبه (وأصول القتال ليست ثابتة فهي دائمة التغير ، والجيش الذي يظل قائماً بما وصل إلى جنوده من تدريب في وقت السلم فلا ينتهز فرصة أي هدوء لاعادة التدريب خلف جبهة القتال يكون قد قطع نصف الطريق إلى الهزيمة ، وقد كون فردريك الأكبر الجيش البروسي القوي ودربه فلما مات هزم هذا الجيش في (فالمي) وكان السبب الأكبر لهذا أن الجيش البروسي قد بقي يتبع تكتيكات ثابتة

لا تتغير أمكن التغلب عليها بتكتيكات جديدة لم تكن متوقعة . وكان الجيش الثامن بين المعارك — بل حتى إبانها — يعمل باستمرار للحصول على دروس جديدة للانتفاع بها ...

على أن قوات المحور كانت قائمة بهذا السكون .. ولم تبذل من جانبها طوال هذه الفترة أى جهد اللهم إلا تحصين مواقعها وتقوية حقول ألغامها التي انتشرت في أرض الصحراء الفسيحة كما تنتشر بقع الزيت على وجه الماء ... ويبدو أنهم كانوا يحزرون شيئاً مما سيجيء . ولهذا فإن رومل نفسه ذهب إلى برلين لتبادل الرأي ، وبالرغم من أن الصحف نشرت حديثاً له جاء فيه : " إننى لم اتقدم إلى العلمين بقصد أن ادفع عنها اللوراء .. يجب أن تثقوا بقوة قبضتنا على ما وصل لأيدينا ، .. إلا أنه في الواقع قال شيئاً غير هذا لمهمة أركان الحرب الألمانية، والتقارير التي لم تنشر أشارت إلى أنه طالب بامدادات جديدة وأنه رفض متابعة الهجوم حتى تجاب كل مطالبه ، ولكن توجد تقارير أخرى تقول بأنه خضع تماماً عندما عرض على هتلر ، وهذه هي المشكلة في الواقع بالنسبة للقادة الألمان في هذه الحرب ، ولهذا فقد قنع رومل — فيما عدا قوات سد الخسائر العادية — بفرقة واحدة جديدة هي الفرقة العشرون القادمة من كرييت ، والواقع أن هذا الوعد لم يتفد فلم يصله منها إلا كتيبة واحدة جاءت في أكتوبر ..

والسبب الرئيسي لهذا التكاثر في ارسال الامدادات هو ازدياد خطورة النقل البحري في شرق البحر الأبيض المتوسط فبسبب سيادة الحلفاء الجوية لم يكن إلا القليل يستطيع أن يتسرب ليصل أى ميناء لشرق بنغازي ، وفي الأسابيع الثلاثة الأولى من أكتوبر فقد المحور ثلاثة ارباع سفن النقل

التي كانت تعبر البحر المتوسط ، وفي المدة من ١٣ إلى ٢٣ أكتوبر اغرقت أو أعطبت بدرجة كبيرة ٢٧ سفينة للمحور ، وقد حاول رومل القيام باللعبة القديمة لوقاية طريق طرابلس البحرى بالقيام بغارات شديدة على مالطة ، ولكن هذه الاغارات لم تبدأ حتى الحادى عشر من اكتوبر ولم هذا لم يكن هناك الوقت الكافى لتعبير البحر امدادات كافية قبل بدء هجوم الجيش الثامن وفى الثلاثين من سبتمبر اقتطع الهدوء الأرضى بهجوم تنيف ضد دير المناسب بكتائب آلاى كوينزرويال ، وقد استطاعت كتيبة الاستيلاء على الطرف الشمالى للمنخفض واستطاعت أخرى برغم تنكبتها فى الألغام والألاك الشائكة أن تصل إلى الف ياردة جنوبى المنخفض وتوقفت هناك ، وكانت قوات المحور فى تلك المنطقة فى فرقة فوجورى الايطالية وكلها من جنود المظلات الذين كانوا يستخدمون وقتيا كمشاة ، وقد قاتلوا بعنف وأعطوا الجيش الثامن فكرة جديدة عن قدرة الايطاليين على القتال ، وفى الخامس من اكتوبر اكتسحت سرية من الرويال سسكس موقعاً للعدو على هضبة الرويسات ، وفى الليلة التالية قام اللواء اليونانى الذى كان يشكل ويدرب فى مصر منذ ربيع عام ١٩٤١ بدوريات ناجحة .

ومثال هذه الأعمال تعتبر شيئاً عادياً فى البلاغات الحربية ، ولكن اولئك الذين عملوا فى إحدى الدوريات يعرفون وحدهم ماذا يمكن أن تعنى ، فهى جزء ضرورى من عمل الجيش ... ولها قيمتها التى تعادل الخطورة التى يعرض لها الأفراد عندما يتعمقون داخل خطوط العدو ...

وقد مرت الأيام حتى العشرين من اكتوبر فى مثل هذا النشاط ، وفى هذا اليوم وصلت رسالة إلى السلاح الجوى من الايرفايس مارشال كوننجهام

تعلم أن سلاح الحلفاء الجوي قد بدأ ما سيكون معركة حاسمة ، ففي الثلاثة
الايام التالية كانت الطائرات تقوم بهجوم عنيف، وفي يوم ٢٣ وصل الهجوم
إلى درجة كبيرة من العنف فهاجمت القواعد الجوية الأمامية وخطوط
المواصلات ومواقع المدافع وأما كن احتشاد الحملات الميكانيكية وعند
انسداد الظلام اشترك الأسطول في ضرب المستودعات والمواصلات عند
مطروح ، وتأهب الجيش الثامن للهجوم الذي تلقى كل جندي في هذا الجيش
رسالة خاصة عنه من القائد العام .

الفصل الحادى عشر

معركة مصر - المشاة تتقدم

طوال الأربعة عشر يوماً السابقة كانت داوريات الجيش الثامن تعمل فى رفع الألغام فى القطاع الشمالى حتى لا تعطل الألغام أى تقدم ، وامتت فى الثالث والعشرين من أكتوبر عمل ممرين جديدين فى ذلك القطاع حيث كان الهجوم الأساسى سيوجه ، وقد أعدت الترتيبات لهذا الهجوم فى شهرين طويلين مع الانتفاع بتجارب الماضى ودروسه ، وقد دلت التجارب على أنه لا فائدة — على الأقل محلياً — من دفع القوات المدرعة فى المراحل الأولى ضد المواقع المجهزة بقوة ، ولهذا فإن تكتيكات الجيش الثامن الجديدة قامت على أساس التهرب داخل هذه المواقع بالمشاة تعاونها خلاله نيران قوية من الأرض والجو ...

وكان مع المشاة بعض العناصر المدرعة لاستثمار النجاح المحلى ، ولكن الحشد الهائل من الدبابات كان فى الخلف على أتم أهبة للنفوذ بعد أن تكون المشاة والمدفعية قد طهرت الطريق .. ولهذا حشد فى الشمال أربعة عشر لواء من المشاة ولواء مدرع يعاونها ثمانمائة مدفع ميدان .. أما فى جنوب الفيلىق ٣٠ فكان الفيلىق ١٣ فى سبع لواءات من المشاة ولواءين مدرعين وقول طيار فرنسى ، كما كان الفيلىق العاشر المكون من فرقتين مدرعتين يتقدم وراء الفيلىق ٣٠ ، وخلف هذا يجسء فى تشكيل خاص لواءان نيوزيلانديان جديدان ،

وكان القصد أن يكون الفيالق العاشر — كما حدث فعلاً — المفاجأة التكتيكية الكبرى للمعركة ، فقد حشد للتدريب خلف ميدان المعركة بخمسين ميلاً ، فذا جاءت اللحظة الحرجة تقدم هذا الفيالق للامام تحت ستر الظلام .

وقد خدع العدو تماماً عن إدراك وقت ومكان وقوة الهجوم ، هذا عدا أن الفيالق أجرت تجربة كاملة لعملية الهجوم في منطقة أعدت اعداداً تاماً وتشبه الى أقصى ما يمكن منطقة العمليات ..

وهنا يجمل بنا أن نتحدث عن الوحدات مجملة بدلاً من التحدث عن الفرق بالتخصيص ذلك لأن تنظيمات الفرق كانت تتباين بكثرة ، فقد قسم اللواء المدرع بين لواءات المشاة للفيالق ٣ ووضع اللواء اليوناني مع الفرقة الخمسين التي ذكر أحد لواءاتها مع الفرقة الرابعة الهندية ، كما أن اللواء الفرنسي الأول ذكر مع الفرقة السابعة المدرعة .

ولم يكن رومل قد عاد إلى جيشه عندما بدأت المعركة وكان قد ترك الجنرال ستوما في القيادة ولكن هذا قتل أثناء إغارة جوية على مركز رياسته فخلفه فون ثوما ولكن لا شك في أن توزيعات قوات المحور هي من مسؤولية الجنرال رومل وحده . وكان هناك اعتقاد خاطئ لدى الألمان بأن الهجوم الأساسي سيوجه إلى هضبة الرويسات في القطاع الأوسط ، وكان يرجحون بمثل هذا الهجوم لو حدث وكانت خطة رومل لهذا أن يعطل الهجوم الى غاية ما تستطيع فرقة سبولونا الإيطالية وحدها ثم يقوم الألمان بالهجوم المضاد من كلا الجانبين ، ولهذا فقد حشد في القطاع الشمالي كل المشاة الألمان تقريباً مع فرقتين ميكانيكيتين إيطاليتين ونحو نصف دباباته ، وكان في الجنوب باقي دباباته مع بعض جنود المظلات الألمان و ٤ فرق إيطالية ، وقد لام الجنرال توما

— بعد أن أسره الانجليز — الماريشال رومل لخطئين تكيتيين ، الأول أنه وضع قواته المدرعة ومدفعيته المضادة للدبابات على مقربة من خط القتال دون أن تكون هناك أى حاجة إلى ذلك ولهذا فإنها تكبدت خسائر فادحة من نيران المدفعية الانجليزية ، الأمر الثانى أن حقول الألغام كانت موضوعة فى ترتيب سيء فالكثير منها لم يكن تحت مراقبة المدفعية ولهذا كان رفعها بخسارة ثقل كثيراً عما كان متوقعاً

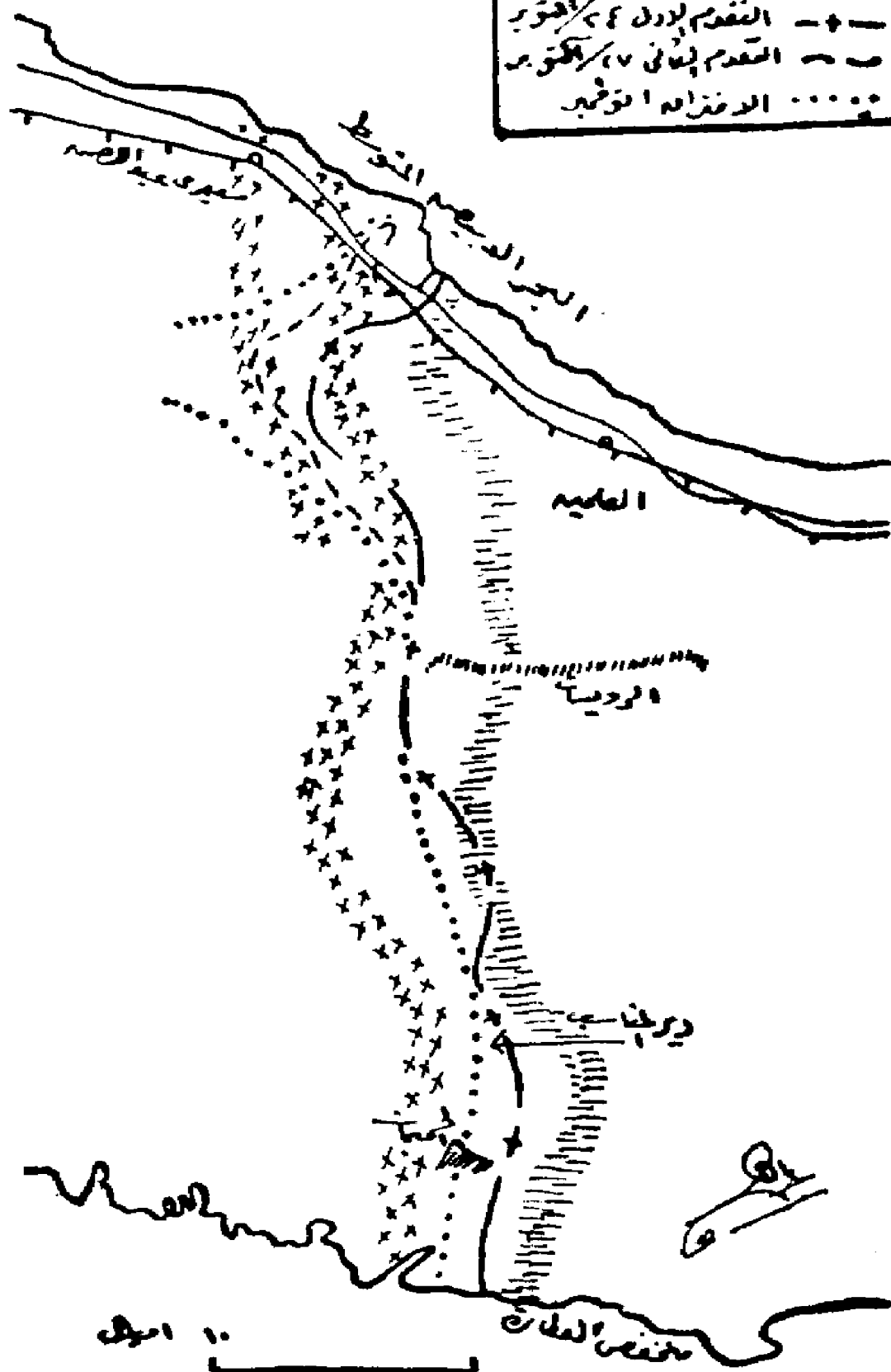
ومسألة رفع الألغام ، فى رأى الناس مسألة سهلة ، وكان جنود الجيش الثامن يتساملون عما يحتاج قراء الصحف عندما يقرأون فى البلاغات الحربية سطرأ يقول (وقد طم طريق داخل حقول الغام العدو) والواقع أن هذا السطر يغطى عملية من أعقد العمليات فى الحرب ، فلو قدر للقارىء أن يخرج مع جماعة من جماعات رفع الألغام فى جبهة الجيش الثامن إبان شهر أكتوبر عام ١٩٤٢ لراى جماعة استكشاف تسير فى المقدمة واجبهامو واجب جماعة الاقتحام بالسوفى فى قتال الخنادق قديماً ، وفى كل من جانبي هذه الجماعة جندي يحمل بندقية تسمى لإرغام أى عدو — ترقبه جماعة الاستكشاف — على خفض رأسه أسفل الخندق الدفاعى ، وتجس. وراء هؤلاء جماعة أخرى تحمل ما يشبه أنابيب الغاز . هذه الأنابيب هى الطوربيد البانجيلور لنفس طريق فى داخل الأسلاك الشائكة ، ويتعقب هؤلاء الضابط قائد الجماعة وقد أمسك بيده مسدسه ويسير على جانبيه أفراد يحملون لفات من الشريط الأبيض تميز الممر الضيق الذى طهر من الألغام

وراء هذه الجماعة كلها تجس. جماعة أخرى أشبه بخادمت المنازل يحمل كل منهم آلة هى التى تكتشف الألغام ... وتجس. وراء هذه الجماعة جماعة أخرى تضع فوق الألغام المكشوفة أعلاماً صغيرة من القماش ، أما الجماعة

مقررہ: ۲۰۰۲ء

عملیات المات

—+— التقديم لإدراكه / أكتوبر
 — — التقديم الثاني / أكتوبر
 ... الخ / الخ



الثالثة التى تتبعها فترفع الألغام بعد أن تضمن سلامتها بإزالة أجهزة الإشعال والمفجرات ، وبعد أن يمر قائد هذه الجماعة بجىء أولئك الذين يضعون العلامات لتمييز مداخل الثغرات من لوحات ومصابيح مضاءة يتجه نورها فقط نحو القوات التى تقوم بالهجوم

والعمل فى جملته خطر كما هو معقد ... ففى معركة العلبين نسفت ثلاث سيارات فى ثمانى دقائق ... وكان فى الثلاث سيارات ضابط واحد كان فى كل مرة ينتقل من عربة الى أخرى ، ثم أن جماعات رفع الألغام تعرض للنيران قريبة المدى كما تعرض للنيران البعيدة ... ولهذا فإنها غالباً ما تنصرف للقيام بواجبها باتخاذ أساليب قد لا تكون فى كتب التدريب الرسمية ، ولهذا فليس أحق بالإعجاب والتقدير من جماعات المهندسين وأفراد البوليس الحربى الذين يعملون فى تطهير الثغرات من الألغام ثم تمييزها لمرور قوات الهجوم وعندما حل الظلام يوم ٢٣ أكتوبر تأهب الجيش الثامن للمعركة التى قال لهم عنها قائدهم أنها قد تكون حاسمة ، ولم يكن هناك حتى الساعة التاسعة والنصف مساءً أى شئ - خلاف تراشق المدفعية العادى ، كان القمر قد أشرق ولكن نوره قد ثبت أنه قليل الاثر ذلك لان الاتربة والدخان قد أضعفت الرؤية الى ياردات قليلة ، وقد كان هذا مقدراً من البداية ولهذا فإن الحدود الداخلية لمواجهة اللوآت قد وضحت بمدافع بوفور تطلق ذخيرة مضئة على طول خطوط "تسيم".

وفى الساعة العاشرة بدأت المدافع تطلق نيراناً حشدت لمدة ١ دقيقة على مدفعية العدو التى كانت مواقعها قد سجلت إلى أدق ما يمكن طوال الاسابيع السابقة ، وكانت مدفعية الجيش الثامن تطلق النيران على مدافع العدو بمعدل عشرين مدفعاً لضرب مدفع واحد من مدافع العدو ، ثم حاولت المدافع

الانجليزية بعد هذا لمعاونة تقدم المشاة ، وكانت الغللة كثيفة جداً في القطاع الشمالى حيث كانت المدافع بفاصل ٢٣ ياردة بين كل مدفعين على طول الجبهة ، ولكنها كانت ثقيلة في كل مكان آخر ، وعند ما اجتاز الجنود في اليوم التالى الارض التى عرضت لنيران المدفعية شاهدوا العمل العظيم الذى قامت به المدفعية : كان افراد أطقم المدافع فى خطوط العدو قتلى حول مدافعهم حتى اولئك الذين كانوا فى الخنادق الضيقة قتل أكثرهم ... وقد شوهد ضابط اشارة قتيلاً وجهاز الانصات التليفونى لازال على اذنه ، كما وجد قتيل كان يحاول اشعال سيجارة ففى إحدى يديه السيجارة وفى الاخرى صندوق الثقاب .

ومرت عشرون دقيقة على هذه الغللة العنيفة من نيران المدفعية ثم بدأ المشاة تقدمهم :

أما فى أقصى الجنوب فقد نجحت كتبتان من الفرقة الاجنبية مع قول من جنود (السباهى) تحت قيادة الكولونيل اميلا كفارى فى الهجوم جنوب الحميات ، وقد اخترقوا منطقة الدفاع الى عمق ميلين ونصف وراء التل ، وفى اليوم التالى صدوا هجمتين مضادتين ، ولكن لما كانوا قد قاموا بواجبهم فى إرباك وتعطيل قوات كبيرة من المحوريين ووجهوا مرة أخرى بهجوم مضاد بالدبابات فقد انسحبوا ثانية ...

وفى شمال الحميات اخترقت الفرقتان الرابعة والاربعون النطاق الخارجى لحقول الالغام فى أربعة أماكن ومرت كتيبة الجريز متبوعة بالاي الدبابات الخامسة ، ولكنهم صادفوا بعض المتاعب فى حقل الالغام الثانى ، وتقرر تأجيل أى محاولات أخرى للاختراق حتى يمكن تطهير بعض مواقع الرشاشات والمدافع المضادة للدبابات التى كانت لا تزال باقية فى مواقعها وراء الحقل

ووجهت عملية بحرية عند رأس الكنايس أنظار قيادة الفرقة تسعين الخفيفة إلى أن هناك محاولة للنزول وراء خطوط المحور وارغمت على بقاء هذه الفرقة بعيداً عن ميدان المعركة الأساسية لساعات حاسمة ، وكان هذا كله عمليات تثبت لازمة

على أن الضربة الأساسية قد وجهت في القطاع الشمالى حيث كانت الدوريات قد شقت ثغرتين في حقول الألغام الخارجية ، وقد انسابت من الثغرة الجنوبية ثلاث فرق من المشاة (٥١ و جنوب أفريقيا الأولى - و نيوزيلاند الثانية) مع لوائين مدرعين في للتعاون القريب ثم جاءت الفرقة العاشرة المدرعة وراء هذا كله ، وقد تقدمت الفرقة الأولى المدرعة عبر الثغرة مجتازة حقول الألغام الخارجية وراء الفرقة الحادية والخمسين والفرقة التاسعة الاسترالية ، وعندما شق هؤلاء ثغرة لانفسهم تابعوا التقدم

وفي الساعة العاشرة كانت القوات قد تقدمت في مواقع العدو لعمق ٤ أميال وراء حقول الألغام الخارجية ، على أن هذا التقدم كان متباين السعة ففى أوسع نقطة كان العمق نحو ٦ أميال وفى أضيقها كان يزيد قليلا عن نصف ميل ، وبدأ في وقت ما ان العدو يحاول أن يقوم بهجوم مضاد بقواته المدرعة ، ولكن لا شك أن العدو قد فوجئ ، فان بعض الاسرى كانوا لا يزالون يرتدون اردية النوم (البيجامات) ، ولعل العدو أخيراً انتهى إلى التمهّل لوقت أطول ، وعلى أية حال فقد تركت الفرق ١٦٤ - ٩٠ المانية - نرونو الايطالية - ١٥ بانزر لمواجهة الهجوم الشمالى الى غاية ما تستطيع في المراحل الاولى ، ولم يحرك رومل الفرقة ٣١ بانزر وفرقة ارييتى الايطالية المدرعة للشمال إلا في الخامس والعشرين من اكتوبر وقد قام الهجوم الجنوبى بواجبه في ابقاء مدرعات العدو في مكانها لوقت كان من الاصلح استخدامها في أى مكان آخر

وتزخر هذه الفترة بأقاصيص البطولة ... ويقص شاهد عيان أن قائد فصيلة في قوات جنوب أفريقيا قتل بقنبلة هاون فتولى اونياباشي قيادة الفصيلة في جراءة نادرة طوال الاقتحام النهائي في مسافة خمسين ياردة كالمناطقة مكشوفة مليئة بالألغام والشباك ، وكان انفجار الألغام يقذف بالأفراد وقد أصيب الاونياباشي مرتين بالرصاص ولكنه كان يندفع متقدماً للامام حتى احتلت الفصيلة الغرض المعين لها .. وهذه وغيرها من الأقاصيص تدل على قيمة القوى المعنوية في جيش يعمل للنصر

وفي يوم ٢٤ أكتوبر صد هجوم مضاد وجه إلى ميسرة الاستراليين قبل أن تصل القوات المهاجمة إلى مواقع الاستراليين ، وفي جنوب الاستراليين استطاعت الفرقة ٥١ أن تدرك غرضها النهائي ، فلما جاء الليل بدأ الفيلق العاشر يدفع وحداته المدرعة من خلال حقول الألغام التي لا تزال أمام المشاة ولكنها ووجهت بنيران شديدة وتكبدت خسائر كثيرة من نيران المدفعية البعيدة المدى ، ولكن بعد فجر يوم ٢٥ أكتوبر بقليل أمكن اللواء الثامن المدرع أن يخترق الألغام ويتصل بالفرقة الأولى المدرعة ، وجاء بعده اللواء الميكانيكي السابع فربط بين هذه المدرعات والفرقة الحادية والخمسين ، وبعد قليل استطاعت الفرقة العاشرة المدرعة احتلال موقع المطرية وبذلك أمكن إطلاق اللوائين الثامن والتاسع المدرعين واللواء الخامس النيوزيلاندي للقيام بأي استثمار ممكن للنجاح ، فلما أقبل المساء بدأت مناوشات — في مدى ضيق — بين الدبابات على أنه لم يمكن الاستيلاء على هضبة (كيدني) ولكن العدو أيضا لم يستطع التأثير على كل ما أمكن الوصول إليه من نجاح وفي أثناء هذا حدث توقف في الجنوب بعد التقدم الأولى وكانت عملية تطهير النقط القوية في حقول الألغام الخارجية قد تمت ، وشقت باليد

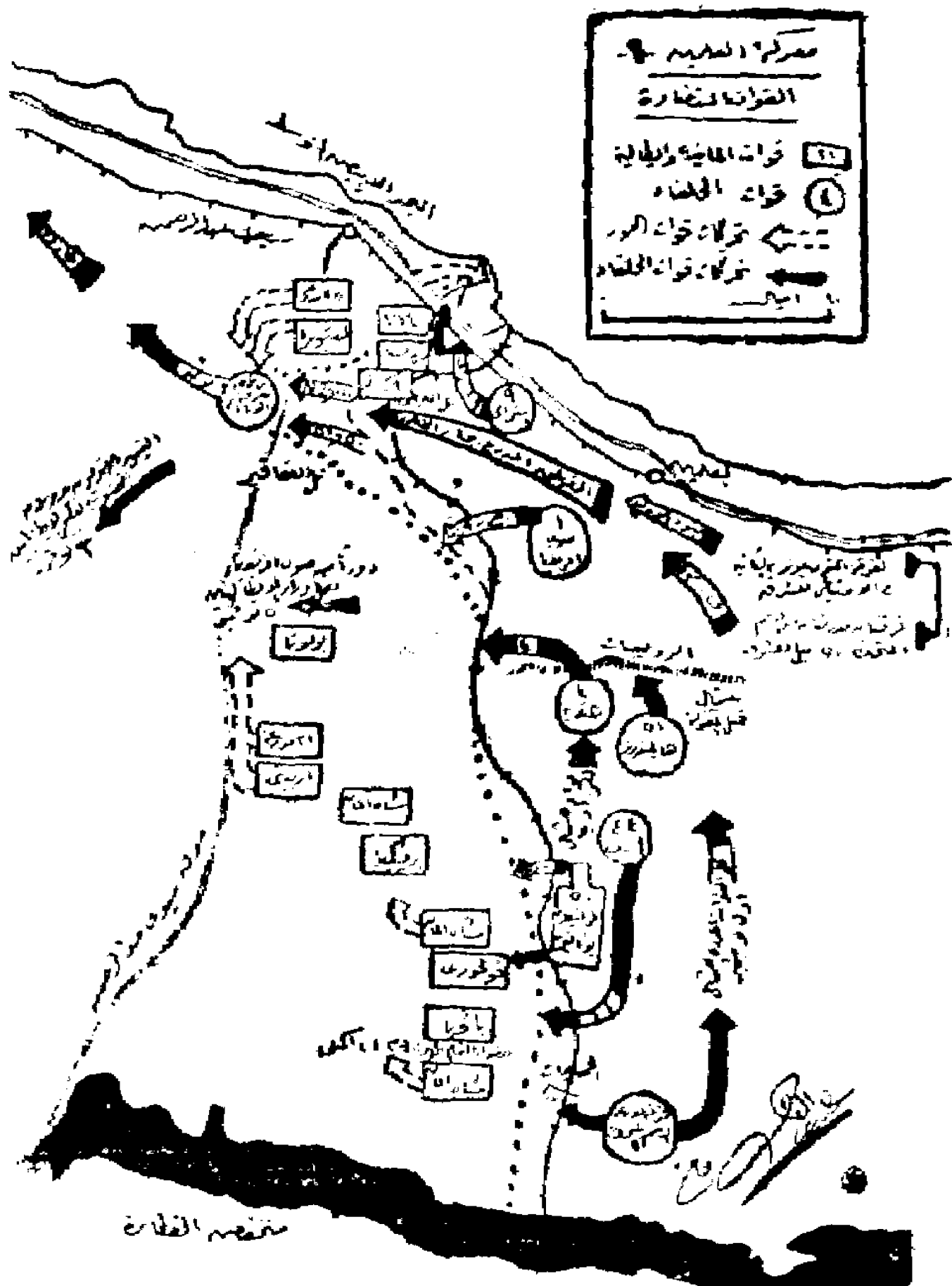
تغرتان في النطاق الثاني من الألغام ، واجتازت الشغرتين كتيبتان من آلاى
« كوينز ، وأنشأتا رأس جسر ، ولكن عند محاول اللواء الثاني والعشرون
المدرع استثمار هذا التقدم تعرض لنيران شديدة من منطقة الحيات ومن
الدبابات الألمانية فأمرت الكتيبتان بالاتجاه شمالاً ثم العودة إلى مواقعهما
الأولى وقد عادتا بكثير من الأسرى

وفي الساعة السادسة مساء يوم ٢٥ أكتوبر كان جنود الجيش الثامن قد قبضوا
على ألف وأربعمائة أسير نصفهم تقريباً من الألمان ، وكان يوم ٢٥ أكتوبر
يوماً جامداً ولكن العدو أصيب بضربات أكثر عنفاً مما طن ، والسبب
الذى لأجله لم تكن هجاته المجددة أكثر عنفاً هو أنه كان يقوم دائماً بالهجوم
بجزء يسير من قواته المدرعة ، فكما تجمع ليكون حشداً من الدبابات قدفته
طائرات السلاح الجوى الملكى بأطنان من القنابل ، وكما دفع العدو هجوماً
مضاداً ووجه بنيران شديدة من المدفعية ومن مدافع الدبابات ، وقد وضح
أخيراً أن رومل لم يكن راضياً عن الأمر وأنه كان يريد التمهق إلى مواقع
في غرب الضبعة ، ولا شك في أن هذا كان في صالحه بدرجة كبيرة . ولكن
هتلر أسعفه بأن أمره بالبقاء والقتال حيث هو ، وكان هذا الأمر - كما بالاعدام
فقد عرضت قواته لنيران متزايدة من المدفعية ، وقد بدا إذ ذاك أن النصر
محقق فقد بقي العدو حيث هو لتقبل الضربات التي تكال له . . . وشكراً لهتلر
الذى أمر بالتوقف للقتال !!

وفي ليلة ٢٥ - ٢٦ أكتوبر قام اللواء السادس والعشرون الاسترالى
بالهجوم شمالاً ، وعند الفجر كان قد احتل خطاً يجرى لقرب الشمال الغربى
من تل العيصى لمسافة ثلاثة أميال ونصف وقد عوون الهجوم بحريطة ألمانية
استولت عليها إحدى الدوريات الاسترالية ، وفي نفس الوقت زادت الفرقة

٥١ من سعة التتوء بالاستيلاء على نقطتين قويتين من جنود المظلات الالمان،
والى أبعد من هذا للجغوب هاجم اللواء ٦٩ من المشاة جانبا من منخفض
دير المناسب ، وفي الليلة التالية احتل اللواء السابع الميكانيكى كيدنى ريديج،
ولكن عندما حاولت وحداته المدرعة التقدم إلى أبعد من هذا أوقفت بنيران
شديدة من المدفعية الالمانية

وفي يوم ٢٧ بذل الجيش الثامن عدة محاولات اخرى للتقدم كما أمكن
صد هجومين مضادين للعدو وجههما نحو تل العيصى وكيدنى ريديج، وفي
المكان الاخير قاتلت الكتيبة الثانية من لواء البنادق فى معركة لا يمكن أن
تنسى ونال قائدها الليفتمانت كولونيل ف . ب تيرنر من أجل هذا صليب
فيلكيتوريا فقد قاد جنوده فى هجوم ليلى مسافة ٤.٠٠٠ ياردة فوق أرض وعرة
حتى استولى على غرضه مع أربعين أسيرا ومدفعين عيار ٨٨ ملمتر ، ثم نظم
الموقع فى دفاع من كل الاتجاهات لمواجهة أى هجوم مضاد للعدو ، وكان هذا
الموقع منعزلا لدرجة أن تعويض الذخيرة المستهلكة كان مستحيلا ، ولم يكن
من المستطاع أن تصل الكتيبة أية امدادات بسبب دقة واحتشاد نيران العدو
وقد عرضت الكتيبة طوال اليوم لهجمات متكررة بنحو ١٠٠ دبابة
ألمانية جاءت فى موجات متعاقبة وقد خسر العدو ٣٥ دبابة احترقت و ٢٠
عطلت ، وطوال المعركة كان الكولونيل تيرنر يتنقل بين جنوده حاملا
الذخيرة مشجعا الافراد ، ولما وجد مدفعا من عيار ٦ رطل بلا جماعة تتولى
أمره ، قام هو بعملية تعمیر المدفع ودمر خمس دبابات ألمانية من مرمى قريب
وقد أصيب برصاصة فى رأسه ولكنه بقي الى جوار المدفع حتى دمرت آخر
دبابة وكانت لاتزال معه طلقة واحدة ، وقد مكنته جراته من تكبيد الالمان
خسارة فادحة فى معركة من أجمل وأروع معارك هذه الحرب ، وضرب



حسن الامثلة للقيادة الجريئة التي كانت مشار تشجيع كتيبة وحدها ، بل
والجيش الثامن كله طوال الايام الحرجة الاولى لأدوار الهجوم الاولى
. ويبدو أن العدو قد أدهشته هذه النتيجة الى درجة انه لم يصدقها ولهذا
فقد ادعى باطلا في بلاغه الرسمي وزعم انه قد استعاد خط دفاعه الاصلي
ثم عاد الى تكرار هذا الادعاء في اليوم التالي عندما حشد كل قواته المدرعة
على الجنب الجنوبي للنتوء ، ولكن هذه القوات تعرضت لتدمير جوى عنيف
لدرجة أن الهجوم لم يبدأ قط ، وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة قام
اللواءان الاستراليان ٢٠ و٢٦ بهجوم ثانية ولكنهما أوقفا على مسافة ميل
من الخط الحديدي الساحلي

وقد بدا إذ ذاك بوضوح ان الاختراق والنصر لا يمكن الاحتفاظ بهما
إلا بهجوم عام جديد يعد بدقة ومهارة وبارغم من أن الجيش الثامن كان
قد أمسك بثلاثة آلاف أسير ودمر جزءا كبيرا من دبابات العدو ومدفعيته
المضادة للدبابات إلا ان العدو كان لا يزال قادرا على أن يوقف عملية الاختراق
بستارة من نيران المدفعية ، ومن الغباء أن تكرر مأساة الغزاة مرة أخرى
بدفع الدبابات ضد ستارة المدفعية هذه

الفصل الثاني عشر

انتصار القوات المدرعة في العقاقير

ظلت القيادة الانجليزية منذ السابع والعشرين من أكتوبر والأيام التالية تنظم ضربة قوية جديدة ، ثبت أنها ناجحة ، وكان قد أصبح من الضروري الحصول بأي ثمن على اختراق حقيقي للنفوذ وراء حقول الألغام ومن أجل هذا الغرض سكلت قوة تحت قيادة الجنرال فريبورج القائد العام للفرقة النيوزيلاندية ، وتكونت هذه القوة من اللوائين ٥ و ٦ النيوزيلانديين — اللواء ١٥١ المشاة (٦ و ٨ و ٩ و ١٠ دارهام لايت انفانترى) — لواء مشاة من الفرقة ٥١ — السيارات المدرعة للفرقة النيوزيلاندية ، اللواء الثالث والعشرين المدرع مع البطارية ٣١ النيوزيلاندية المضادة للدبابات ، وهما اللواء ٢٣ المدرع آلاي المدفعية ١٢١ بمدافع محملة والبطارية ١٦٨ الخفيفة المضادة للطائرات ، سرية تشميلات الميدان ٢٩ ، ثلاث آلايات نيوزيلاندية من مدفعية الميدان ومعها آلاي نيوزيلاندي من المدفعية المضادة للدبابات والخفيفة المضادة للطائرات ، وأربع سرايا من المهندسين النيوزيلانديين ثم سرية مهندسي الفرقة الحادية والخمسين ، وأخيراً ألحقت بالوية المشاة الانجليزية بطاريتان من المدفعية المضادة للدبابات الانجليزية وثلاث سرايا مدافع ما كينة وتقرر أن تعاون هذه القوة الصلبة العود بأكبر حشد المدفعية نظام في أفريقيا من قبل ، على ان تطلق المدفعية غلالة نيران موقوتة حددت تفصيلاً واجباتها في كل لحظة . وكان على الهجوم أن يتدفع للامام بأي ثمن ، فاذا

وجدت جيوب مقاومة قوية وجب على المشاة أن تتركها حتى تظل متعقبة لغلالة النيران ، فإذا كانت الغلالة الزاحفة — بالصدفة — سريعة فإن الدبابات تتبعها على أن تجيء المشاة في أعقابها بأسرع ما تستطيع ، وحدد موعد هذا الهجوم في الحادى والثلاثين من أكتوبر ولكنه أجلى إلى صباح الثانى من نوفمبر ، وخلال اعداد هذه الهجمة الهجوم أبقى العدو مشغولا طوال الوقت ، وكان على الأستراليين أن يبقوه غير مطلق اليدين ... على أن يقوموا هم أيضاً بالهجوم على الجنب الايمن لهذه القوة .

وقد قام الأستراليون بواجبهم ، ففي ليلة ٣٠ أكتوبر بعد أن صدوا هجومين للعدو أثناء النهار ، هاجم اللواء ٢٦ الأسترالى بمعاونة دبابات المملكة المتحدة ومدفعية الفرقة النيوزيلاندية بالإضافة إلى المدفعية الأسترالية متقدما لشمال السكة الحديد ، كما تقدم اللواء ٢٤ الأسترالى أيضاً فوصل في تنوء حاد إلى ساحل البحر قاطعاً الطريق على قوات العدو التى فى موقع تومسون ، وقد تسربت نحو عشرون دبابة من جوار الساحل للاتصال بالقوات الألمانية المحصورة ولما كان الأستراليون يعرفون ما سيحدث فإن أحداً لم يعترض هذه الدبابات

وفى أول نوفمبر بدت عدة علامات تدل على أن رومل قد اقتنع بأن الهجوم الشمالى قد أدرك غاية جهده فسحب للقطاع الجنوبى بعض مجموعات الاستكشاف الألمانية التى كان قد حركها لامتداد قواته فى الشمال وبذلك كان أقل قدرة على مقاومة الهجوم الجديد ، وقد حاولت حامية موقع تومسون ثلاث مرات متوالية أن تتسرب من قبضة الأستراليين ولكن فشلت كل محاولاتها فسلمت بعد أن تم الهجوم الأساسى عدا بعض أفراد قلائل نجحوا فى التسرب وبدأ هذا الهجوم فى الساعة الواحدة مساء يوم ٢ نوفمبر وقد بدأ نجاحه بسرعة .

وفي الساعة ١٥ مساءً تقريباً أبلغ اللواء اليسار أن وحداته تعيد التنظيم في الأغراض النهائية المعينة له وأن الخسائر طفيفة بالرغم من أن التقدم كان الثلاثة أميال وأنه قد أمكن تطهير طريق واسع داخل خطوط العدو ، وبعد نصف ساعة أبلغ اللواء ١٥١ أنهم قد اخترقوا خطوط العدو وأن القوات المدرعة قد تقدمت لاستكمال النجاح ..

على أن ضغط الأعمال المضادة الأولية التي قام بها العدو وقع كله على اللواء المدرع فتكبد الهوزارس الثالث خسائر فادحة من نيران المدفعية ولكنه وصل إلى مدق سيدى عبدالرحمن ، كما تقدم أيضاً آلاى ويلتشاير يومينرى الملكى للامام بدرجة كبيرة .. كذلك نجح في التقدم آلاى وارويكشاير يومينرى ولكنه كان بعيداً للجنوب فلم يستطع الاتصال التام بباقي وحدات اللواء ، وفي فجر اليوم التالى عرضت هذه الآليات الثلاثة لنيران شديدة من دبابات موضوعة في مواقع دفاعية ومن نيران المدفعية المضادة للدبابات من مرمى قصير ، وقد قتل الكهثيرون من قادة السرايا وفقدت محطة اللاسلكى ولكن الدبابات قاتلت في عمليات فردية بجرأة نادرة طوال اليوم ، وفي نهاية اليوم بقيت من الهوزارس الثالث اثنتى عشرة دبابة ومن الوارويكس سبع دبابات ولم يبق من الويلتس شيئاً ولكن العدو فقد أيضاً ٧١ دبابة أخرى كما أن خط مدافعه كله قد دمر .. فكانت هذه المعركة بدورها من المعارك التي لا تنسى ..

وكان رومل إذ ذاك قد أرغم تماماً على أن يبدأ هجومه المضاد إلا أنه كان قلقاً على قطاع الساحل وكان قد أضاع وقتاً طويلاً في تحريك فرقتيه المدرعتين وأعطى هذا كله الوقت الكافي ليدفع الانجليز للامام اللواءين الثانى والثامن ، ولهذا فانه عندما قام العدو في المساء المبكر يوم ٣ نوفمبر

كان اللوامان على أتم أهبة للقائه ، وقد دفعه ارتبائه الى داخل الشتاء فلما لم يستطع البقاء ، حاول التقهقر للخلف كبدته هذا غالياً وفقد ٢٥ دبابة نتيجة عمليات اللوام الثانى المدرع وحده

وطلب رومل من سلاح الجو الالماني القيام بأعمال خاصة فلما جاء عدد كبير من طائرات القتال والقاذفات المنخفضة (طراز ستوكا) كانت طائرات القتال الانجليزية والامريكية فى انتظارها .. واسقطت سبع طائرات ستوكا دون أن تخسر شيئاً أما باقى الطائرات الالمانية فألقت قنابلها على الدبابات الالمانية .

كان رومل لرغبته فى زيادة قواته الجوية قد استدعى أسراباً كثيرة من صقلية مفضلاً كيف تكون الصحراء غريبة لا يمكن تمييز الاغراض فيها للطيار الغريب الذى يطير فوقها لأول مرة ، وقد بدا من أقوال الأسرى أن الاضطراب كان يتزايد فى صفوف الالمان وأن الكثيرين من الجنود لم يستطيعوا مبارحة خنادقهم حوالى الأربع وعشرين ساعة بسبب التدمير الجوى العنيف بل أن بعضهم لم تكن لديهم أية قطرة ماء لأمده حوالى الست والثلاثين ساعة ..

وقد اتسع الشتاء للجنوب بمجهود قليل عندما قامت الفرقة الخمسون بالهجوم مساء وفى معاونتها آلاى الدبابات رقم ٥٠ ، وعند المساء وصل اللوام السابع الميكانيكى وفيلق البنادق الملكية الملكى إلى مدق سيدى عبدالرحمن .. ثم قام اللوام الخامس الهندى بهجوم ليلى لازالة ستار المدفعية الالمانية المضادة للدبابات ووصل فى اختراقه إلى عمق ٤ أميال وعن طريق هذه الثغرة اندفعت القوات المدرعة الانجليزية لتدمير مابقى من قوات رومل المدرعة فى تل العقاقير

وفي هذا اليوم استطاعت القوات الانجليزية التي في الجنوب أن تثبت أغلب القوات الايطالية والالمانية في مكانها بهجمات تحويلية، وقد وجدت أن مقاومة العدو قد بدأت تضعف، واحتل الفرنسيون دير المناسب، كما أن داورياب الفرقتين ٤٤ و ٥٥ تقدمت حتى مدق سيدى عبد الرحمن وأبلغت عن خلو المناطق الامامية من العدو، وقد مرت العربات المدرعة (٤ / ٦) لقوات جنوب أفريقيا من الشجرة التي في حقول الالغام الداخلية واندفعت نحو الضبعة للاتصال بالرويلز الذين قاموا بأروع اغارة برية في المعركة كلها... فقد دمرت القوة في طريقها لورياب التموين التي كانت معدة لتعوين قوات المحور الامامية واستولت على أسلحة الجنود الذين كانت تجتازهم في طريقها فلم يكن لديها أى وقت لاصطحاب أسرى...

والواقع ان الاغارة كانت مليئة بالجرأة منذ بدايتها فقد اجتازت العربات المدرعة مناطق الالمان الدفاعية وأحياناً مرت على قيد ياردات من أفواه المدفعية... ولكن كل فرد كان لا يصدق عليه حتى ان العربات وهى في طريقها أطلق طيار من جنوب أفريقيا كان قد سقط وراء خطوط المحور. النار عليها لأنه لم يصدق أن العربات قد استطاعت المرور وسط هذه القوات المحورية الكثيرة... وقد سببت سرعة الاغارة وقطع خطوط المواصلات ارباك الالمان حتى أن بعض القوات الالمانية كانت تترك وراءها بعض المدافع المضادة للدبابات التي تبحر خلف العربات، فلما انتهت هذه القوة من إغارتها لم يعد من سبب لتعود الى الشرق ثانية لأن الجيش الثامن كان قد تقدم الملاقاة.. وكانت نتيجة هذه الاغارة الموفقة تدمير مائتى سيارة نقل للمحور وثلاثين مدفعاً على الاقل أصغرها من عيار ٣٠ م.م وكل هذا بخسارة سبع عربات مدرعة وثلاث لورياب وثلاثة قتلى واثني عشر جريحاً

على أن الروبلز لم يكونوا وحدهم القوة التي تقوم بمثل هذه المخاطرة فإن
عربات جنوب افريقيا المدرعة والهوزارس الحادى عشر والثواء المدرع
الثامن قامت كلها بغارات قصيرة المدى ولكنها كلها تثير الاعجاب ، حتى
أن اللواء الاخير وصل مدق سـيدى عبد الرحمن لجنوب منطقة المعركة في
الساعة ١١ الحادية عشرة صباحاً يوم ٢ نوفمبر

وكانت معركة الدبابات قد انتهت في صالح الجيش الثامن ، وبالرغم من
الخسائر القادحة في القوات المدرعة فانها كانت جزءاً قليلاً نسبياً فقد كان
هناك الكثير لا يزال باقياً ، أما رومل فقد دفع كل قواته المدرعة للمعركة
وخسر نحو ستين في المائة منها ، ولكن الأشد خطورة من هذا أن وحدات
النجدة والاصلاح لم تكن تستطيع القيام بأى عمل تبعاً لعدم سيطرته على
المعركة

وفي مساء يوم ٣ نوفمبر كان في استطاعة الجنرال مونتجومرى أن يلخص
المعركة في رسالة صدرت في الصباح التالى للجيش الثامن جاء فيها :
« لقد استمرت المعركة الحالية اثني عشر يوماً قاتل فيها كل الجنود في
مظهر رائع . . . ولقد أجهد العدو تماماً . . . انه يحاول سحب جيشه بعيداً
ولكن طائرات السلاح الجوى تضرب قواته المتحركة غرباً على الطريق
الساحلى الرئيسى بعنف . . . اننى أطلب من كل الجنود أن يتابعوا الضغط
وأن لا يتهاونوا لحظة واحدة . . . ، ان الفرصة أمامنا لتسك بكل الجيش
الامانى وسنفعل ذلك . . . اننى أهني جميع الجنود لما وصلوا اليه ، إن النصر
الكامل قد وضع لنا . . . ولقد قمت نيابة عنكم بإرسال رسالة خاصة للملح
الملكى الجوى شاكرأ لهم التعاون الرائع الذى قامت به الطائرات !! »

الفصل الثالث عشر

الاسراع الى الهرب من مصر

وتعتبر ليلة ٣ / ٤ نوفمبر الحد الفاصل بين المعركة والمطاردة ، ففي ذلك الوقت كان الفيلق العاشر وحده قد دمر ٢٥٣ دبابة و ٢٢٢ مدفعاً ، وكان السؤال الوحيد الذى خطر لكل فرد يوم ٤ نوفمبر هو ... الى أى مدى سيستطيع العدو الابتعاد ؟ ! . على ان الاجابة على هذا السؤال فيما يتعلق بالقطاع الجنوبي كانت لاشيء ... كانت الفرق الايطالية قد تلقت فى اليوم السابق أمراً بأن تمقر وبقيت طوال الليل تنتظر الحملات ولكن لم يصل أى شيء منها ... ، وفى الصباح التالى تلقت تلك الفرق أمراً بالمقاومة الى النهاية ... وحاولت " جيوب " قليلة أن تصدع لهذا الامر ، ولكن كانت هذه الوحدات تفتقر الى التموين والمياه ، وطوال اليوم كانت الفرقة ٤٤ والفرنسيون واليونانيون يعملون على اكتساح الايطاليين ولو ان حرمان رومل هؤلاء البائسين من حملاتهم لنفع جنوده الالمان لم يكسبه إلا القليل ...

وفى ليلة ٣ / ١٤ اكتسح الاستراليون موقع تومسون وفى فجر يوم ٤ نوفمبر بدأت محاولة اختراق وتطوير ستارة مدفعية رومل ودباباته والعناصر الامامية من الفرقة ٩ الخفيفة ، فتحركت الفرقة الاولى المدرعة الى ماوراء مدق سيدى عبد الرحمن بينما كان الرويالن والعربات المدرعة لجنوب افريقيا جنوبي غزال ، وكانت الفرقة العاشرة المدرعة يعاونها

اللواء السابع المدرع الى أبعد من هذا للجنوب متقدمة نحو فوكه ، وطوال
تقهقر العدو على الطريق الساحلى كانت تطوقهم الدبابات والمدفعية التى
تنتظرهم فى الاراضى المنخفضة جنوبى الطريق والخط الحديدى ، وقد احتفظ
جنود اللواء الثامن المدرع بنيرانهم حتى بات الالمان على مدى قريب جداً
فأطلقوا النيران فجأة وبسرعة فكان لها تأثير كبير فقد دمروا ٤٥ دبابة
علاوة على عدد كبير من اللوريات وأمسكوا بألف أسير دون أن يتكبدوا
أية خسارة ، فكان هذا نوعاً آخر من معركة ماتابان ولكن فى البر لا
البحر . . .

ولا يجوز أن نتعقب الحوادث دون أن نذكر قصة أسر الجنرال
ريتا فون ثوما قائد فيلق أفريقية : كان القائد الالماني قد خرج متجه
للعقافير لاستكشاف شخصى فى دبابة مارك ٣ لاقتناع رومل بأن هناك قوات
انجليزية تحاول تطويقه ، ولما كان قد وصل فى ختام المعركة فقد قابل سيار
استكشاف يقودها الكبتن جرانت سنجر من الهوزارس العاشر ، واطلقت
الدبابة الالمانية طلقة من مدفعها اخترقت المقعد الذى وراء السائق فكان هذا
انذاراً للكبتن جرانت بوجود الدبابة فوجه نيران دبابة تعاهن الى الدبابة
الالمانية ولحسن الحظ كانت الدبابة الانجليزية من طراز جرانت ولازل طلقة
من مدفعها عطلت الدبابة الالمانية فأمرع رجالها بالخروج منها فأسرعت سيارة
الاستكشاف نحوهم وفجأة رأى الكبتن رجلاً طويل القامة معفر الثياب
يخرج من خندق ضيق صاح بالكبتن جرانت دانه جنرال ، وعندها لاحظ
الضابط الانجليزى الشرائط الذهبية التى تغطى ثوبه ولهذا فقد أخذه معه فى
سيارته ، على ان هذا الضابط الباسل والذى كان يعمل ياوراً للجنرال نوري
قتل فى عملية استكشاف أخرى كان يقوم بها فى سيارته

وكان فون ثوما قد تولى قيادة قوات الدبابات الألمانية في الحرب
الاسبانية الاهلية في أيام عدم التدخل وقد قاتل في لوفين في مايو عام ١٩٤٠
وقد قال الجنرال مونتيجومري بعد أن قابل الجنرال ثوما فيما بعد انهم
وقد ضبطوا في دنكيرك بعض اوراق للمخابرات تعطى وصفاً دقيقاً
للجنرال فون ثوما ، وقد أخبر الجنرال ثوما الجنرال مونتيجومري بأن
لدى الالمان تقريراً شخصياً عن أخلاق وصفات قائد الجيش الثامن وانه قد
جاء في ختام ذلك التقرير انه يجب توقع تكتيكات جديدة من مثل هذا
الجندي الصلب العود ...

وكانت عملية المطاردة تزداد سرعة كلما مر الوقت ، كانت القولات
المتهقرة قد تعرضت لتدمير جوى عنيف طوال الليل ، وفي الصباح الباكر
يوم ٥ يونيو وصلت الفرقة الأولى المدرعة الى الخط الحديدى غربى الضبعة
ووصلت الفرقة التاسعة الاسترالية الى بير قاطياني على الطريق الساحلى
ووصلت الفرقة ٥١ الى مطار الضبعة ، وقد اوضح السلاح الجوى
الملكى السرعة الفائقة التى دفعت بها المطارات للامام والتي لم تمكن العدو
قط من التجمع فان اراضى الهبوط كانت تصلح للعمل وتصلها كل أنواع
الامداد بالوقود وقطع الغيار فى ساعات قليلة

وفى أثناء هذا كانت قوة الجنرال فرايبورج قد أعيد تنظيمها للقيام
بعمليات خفيفة الحركة وتلقت بالاضافة لقواتها اللواء الرابع الخفيف
المدرع ثم بدأت التحرك للامام يوم ٤ نوفمبر ... كان واجبها هو التدخل ضد
قوات العدو فى سلسلة من العمليات تقع كلها على جنبه الأيسر ، وكان الغرض
الاول هو الهضبة جنوب فوكه ، وفى الطريق فاجأت ثمانى دبابات ودمرتها
الى جانب أسرها قائد فرقة ترينتو ، وكانت العربات المدرعة لجنوب افريقيا

والرويلز تقوم كلها بالانغارة الى أبعد من هذا للغرب على الهضبة لجنوب
مرسى مطروح ، وكانت الفرقتان المدرعتان الأولى والسابعة تتقدمان عبر
الصحراء للغرب جنوبي النيوزيلانديين

وقد حدثت في هذه المرحلة الأولى من المطاردة عدة اشتباكات عنيفة
دائمة ، وفي هذه الاشتباكات كانت الدبابات تهاجم وتتقدم . واقع المدفعية
المضادة لها ، وكانت منحدرات العقاقير مقبرة دبابات المحور ، وفي مكان ما
من أرض الموقعة وجدت سيارة نقل كبيرة منقلبة وقد تساقطت منها مجموعات
كثيرة من الخرائط عن دلتا النيل . فمن هو الرجل المتفائل الذي فكر في
إرسال هذه الخرائط الى جيش رومل ؟ !! على أنه طول أيام هذه المرحلة
كانت مجموعات كبيرة من الاسرى تتجه نحو الشرق

والواقع ان مواقع العدو تعطى فكرة صحيحة عن السبب الذي لأجله
كان الألمان يعتقدون أنها لا تقهر ، ففما عدا الألغام كانت وسط هذه
تزرع بمئات المدافع عيار ٨٨ . مليستر والمدافع المضادة للدبابات ، وضوعة
في حفرة وبالكاد تطل مواسيرها من فوق سطح الأرض ، مع مجموعات
كثيرة من أوكار الرشاشات تحيط بها الاسلاك الشائكة والأشراك
والألغام ، وكانت هذه تدل على الدفاع الثابت القوي الذي قضى رومل الشهور
الطوال في اعداده ، وبالإضافة الى هذا كان لدى العدو فرق مدرعة
وفرق خفيفة مع مجموعات صغيرة كثيرة يمكن أن تحرك بسرعة لأي
جزء من الجبهة

وبدا وضح في الخامس من نوفمبر ان رومل لم تكن لديه أية فكرة
غير الانعقاد بما بقي لديه من المدرعات الألمانية وفرقته المشاة ثم الجزء الباقي
من الفرقتين الإيطاليتين الميكانيكيتين ١٠١ و ١٠٢ . وفي نفس اليوم كانت

مجموعة فرق المشاة الإيطالية التي في الجنوب والتي تركت بلا وسائل نقل ولا ماء . تهاجم بالفرقتين ٤ و ٥ . بينا وقفت الفرقة العاشرة المدرعة تسد أى طريق ممكن للتقهقر ، أما في الشمال فقد حاول العدو أن يتوقف للدفاع على هضبة فوكة . وكان وقوفه في الواقع حلا له خطورته . ولهذا اتجهت الفرقتان المدرعتان الأولى والسابعة شمالا للمعاونة في طرده من مواقعه . وقد دمرت مؤخرة العدو في يوم ٦ نوفمبر وعندما حل المساء وصلت القوات التي تقوم بمطاردته الى الهضبة جنوب مطروح ولكن كان الهوزارس الحادى عشر والعربات المدرعة لقوات جنوب أفريقيا لا تزال إلى أبعد من هذا للغرب ، وكانت الكتيبة الثالثة من آلاى الدبابات الملكية أول قوة تدخل مطروح نفسها

وفي تلك اللحظة لو كان الجو قد استمر على حالته الطيبة الجافة لثم تدمير فيلق أفريقيا الألماني كله ولكن السماء بدأت تمطر مضرأ غزيراً (لاحظ تأثير المطر عندما بدأ كانينجهام الهجوم في برقة) ، وكان هذا من سوء الحظ ، وبدأ الجنود يكافحون لانقاذ أنفسهم وعرباتهم ودباباتهم من هذه القرب التي تفتحت عنها أبواب السماء . واستعاد كل منهم لنفسه كيف كان يتضرع إلى الله أن تمطر السماء لطرد الدباب . ولحجب قرص الشمس الخاف من حرارة الجو ، وفي السابع من نوفمبر أبلغ النيوزيلانديون أنهم متعطلون في مكانهم وأن حركة التطويق التي تقوم بها القوات المدرعة قد توقفت هي الأخرى ، وكانت التحركات قد أوقفت تماماً في كل مكان عدا الطريق الساحلى وحتى طائرات السلاح الجوى لم تكن تستطيع الرؤية لقذف الاغراض بقنابلها

على أن التحركات على هذا الطريق لم تكن كلها في اتجاه واحد هو الغرب ،

بل اتجه بعضها نحو الشرق ، وهذه التي كانت تتجه شرقاً إنما كانت عربات المانية وإيطالية يقودها جنود ألمان أو إيطاليون ومثقلة بجماعات وأفراد من جنود المحور وهم يتجهون وحدهم بلا حراسة نحو الأسر ... وقد حدث مثل هذا مرة أخرى في تونس فكان هذا وذلك دليلاً واضحاً على انهيار قوى المحور بين المعنوية ، على أن مسألة انهيار الألمان عندما تمر بهم ظروف قاسية لم تكن اكتشافاً جديداً ولكن هذا لبث مستوراً بسبب قواتهم الهائلة وطائراتهم الكثيرة في غرب أوروبا والبلقان .. إلا أن العلين كشفت عن هذه الحقيقة ، كما كشفت عن أن قصة أفضلية وميزة القيادة الألمانية ماهي إلا أسطورة كمسألة أفضلية صفات الاقتتال التي للجنود الألمان ..

وعندما تحسن الجو في الثامن من نوفمبر كان رومل قد انتفع كثيراً من هذا التوقف في المطاردة ، على أنه عندما وصل اللواء الرابع الخفيف المدرع إلى مطروح بعد ظهر يوم ٨ وجد الألمان قد أدخلوا المدينة وليس بها إلا بعض الجنود الانجليز الجرحى كما وجد بعض جنود كتيبة الكاب لأعمال هندسة الميدان في معسكر الأسرى ..، ووجدت بعض أسطوانات الوقود التي كان الاسطول ينزلها عند الشاطئ لمعاونة القوات التي تقوم بالمطاردة .

ودمر اللواء الرابع المدرع في تقديمه مؤخرة أخرى للعدو عند سيدي براني — على أنه في اليوم التالي ٩ نوفمبر — كان النيوزيلانديون يقتربون من الحلفاية والهوزارس الحادي عشر من كابوتزو والقوات المدرعة من ماديلينا . وقد وجدت طائرات السلاح الجوي الملكي أغراضاً جيدة لقنابلها في القوات المحتشدة بين السلموم وحلفاية حيث سد انفجار لوري من لوريات الذخيرة الطريق مع حفرة واسعة عميقة نجمت عن الانفجار ، وفي مساء العاشر من نوفمبر كانت في استطاعة اللواء الرابع المدرع وجنود الجنرال

فريبورج مهاجمة الممر نفسه ، وقد فوجيء العدو بهجوم ١١٠ جندي من
الكتيبة الحادية والعشرين النيوزيلندية دون أن تعاونهم المدفعية ولا حتى
نيران الهاون ، واستطاع هؤلاء بخسارة جنديين اثنين أن يمسكوا ٦١٢ أسيراً
منهم بعض الألمان ولكن جلهم من جنود فرقة بيستويا الإيطالية التي كانت
قد حركت للامام من طريق . ثم كرر رومل مرة ثانية أسلوبه في معاملة حلفائه
الذين يتولى قيادتهم فترك هذه الفرقة دون أية حملة للنقل ، وعند الفجر هوجم
الممر مرة ثانية بواسطة اللواء الرابع الخفيف المدرع وفي هذه المرة أمكن
أسر ٨٠٠ جندي والاستيلاء على ٤ مدفعاً

وبالرغم من أنه كانت لاتزال هناك بعض جماعات للعدو تتجول في
الصحراء الى الجنوب على غير هدى فانه يمكن أن يقال عن يوم ١١ نوفمبر
أنه هو آخر تاريخ لتطهير أرض مصر من جنود المحور ، كما انه يمكن
اعتباره اتمام المرحلة الأولى في الحرب العالمية الثانية ، وإن
كان أفراد الجيش الثامن أنفسهم لم يظنوا أنهم يخطون في ذلك اليوم تاريخاً
مجيداً لهم ، ففي يوميات أحد ضباط الجيش الثامن جاء الآتي : (١١ نوفمبر ...
ليلة عملة ... برد قارس . لدغات مميتة من البعوض) ، ولكنه لاشك قد كان
مشدوهاً برؤية القوات المدرعة وهي تندفع للقيام بعملية المطاردة ... وفي كل
دبابة تمزق لنفسها قوس موجة قوية ينطير منها الغبار . . . كانت الدبابات
تنتشر من البحر مندفعة نحو الصحراء الداخلية . . . سباق صاحب لجيش من
الصلاب يضغط أفرادَه بعنف على نانكات البترول للحصول على معدل تحركات
برقية !!!

وهذه السطور خاتمة حسنة لقصة « معركة مصر » ،
وكما قال قائد الجيش في رسالة خاصة أذيعت في اليوم التالي أنه لم يعد في

الاراضى المصرية اى المانى أو ايطالى عدا الاسرى .. وكان الجيش الثامن قد تقدم ٣٠٠ ميلا فى ثلاثة أسابيع ودمر تشكيلا قوياً للعدو وجلته بفرق المانية و٨ فرق ايطالية

وهنا نتوقف قليلا لنستخلص الدروس النافعة

والدرس الاول هو ان مونتيجومرى نفى يديه من تكتيكات حرب الصحراء القديمة التى تقوم على الالتفاف والتى استخدمها ويفل وأوكسليك من قبل إذ كان الجنرال الكسندر ومونتيجومرى قد وصلا الى حقيقة لاشك فيها هى ان مواقع المحور فى العلبين هى أشبه بالمواقع الدفاعية التى كانت فى الحرب العالمية ولهذا يجب ان تهاجم بأسلوب الحرب الماضية ولكن مع التجديد والمفاجأة ، وقد أمكن الوصول الى كلا الأمرين باستخدام المشاة كدرع للقوات المدرعة

الدرس الثانى هو القيادة الموحدة ، فقد كان هناك رجلان هما تيدر ومونتي ، ولكن كانت هناك قوة واحدة وخطة واحدة وهذا الاتصال الوثيق من أهم وسائل النصر إن لم يكن أهمها . فلم تعد القوات الجوية التى فى الصحراء الغربية سلاحاً مساعداً كأجنحة واقية للجيش الثامن بل باتت جزءاً منه ، وبات للجيش الثامن أجنحة يستطيع بها أن تكون له قوة ضرب لامتثل لها)

والدرس الثالث هو التنسيق الزمنى لغلابة النيران التى كانت تستر تقدم المشاة ، فقد كان الجنود يتقدمون خلف غلابة كثيفة من نيران المدفعية لاتسبغهم بأكثر من خمسين ياردة ، وحتى عندما اجتاز المشاة مرمى مدفعية الميدان كانت المدفعية المتوسطة هى التى تقوم بهذا الواجب .. ويفيضى ملاحظة انه يمكن من نقطة مراقبة المدفعية فى أثناء النهار مراقبة سير عملية المشاة ، أما فى الليل

فإن هذا يتم بواسطة ضباط المراقبة الامامين الذين يصحبون المشاة في عربات استكشاف مدرعة تحمي مواصلاتهم اللاسلكية مع مواقع المدافع

والدرس الرابع هو التأثير التكتيكي لحقول الالغام والاسراف الكبير في بعثتها في المناطق الدفاعية . وبذلك أمكن تحديد التحركات في هذه الصحراء التي كانت أهم ميزاتها طلاقة التحركات .. بل بات المهاجم يجب أن يتبع في تقدمه طرقا محددة تطهرها بعض قوات منه قبل بدء الهجوم ، والشئ الجديد بالنسبة لمعركة العلين هو أن تطهير المناطق وشق الثغرات بات من اختصاص جميع الاسلحة بعد أن كان من واجب المهندسين وحدهم

والامر الذي يجب أن يوضع موضع التقدير على التخصيص هو السرية، Secrecy هذه السرية التي عاونت على المفاجأة ،، إن الصحراء لا يمكن فيها إخفاء كل شئ .. ولكن مع هذا يجب ان يظل العدو جاهلا حقيقة الموقف وحقيقة القوات التي تواجهه وان يترك في قلق دائم لا يستطيع أن يحزم بأمر على حقيقة فيتترك الامر لتقديره الافتراضي ، وقد حدث هذا فان الالمان ظلوا حتى تطورت مراحل الهجوم في القطاع الشمالي وهم ما يزالون يعتقدون بأن الهجوم الاساسي الاختراقي للانجليز سيكون جنوبي الرويسات

الفصل الرابع عشر

لن نرجع الى الوراء هذه المرة

وفي هذه المرة ، — على ما قال الجنرال مونتيجومري — ماد مناقد وصلنا إلى بنغازي وتخطيناها فلن نرجع إلى الوراء ثانية ، والواقع أن الجيش الثامن ، مجرد أن عبر الحدود المصرية بدأ يعمل بسرعة ليحقق أقواله . ففي الحادي عشر من ديسمبر كانت الفرقة السابعة المدرعة مع النيوزيلانديين قد طهرت المنطقة بين السلوم والبردية حيث توقف النيوزيلانديون لإعادة التنظيم ، ووصل الهوزارس الحادي عشر وعربات جنوب أفريقيا المدرعة إلى أرض الهبوط في سيدي وزيق بينما كان العدو يحاول إخلاصها ، وقد أسقطت طائرات السلاح الجوي الملكي وسرب من الطائرات الأمريكية ١١ قاذفة قنابل متقضة كما أربكت قولات العدو على طريق البردية — طبرق ، وعندما وصلت قوات الجيش الثامن إلى ذلك المكان وجدت عربات فد تركها سائقة لي فروا من وجه الدافقة القاتلة ، وقد اصطدمت العربات ببعضها البعض أو انقلبت رأسا على عقب ، بينما اخترقتها قنابل مدفعية الطائرات ثم مزقتها شظايا قنابل التدمير الجوي وكان بندول الساعة قد دار دورة واسعة منذ شهدت طرقات فرنسا واليونان مناظر شبيهة بهذا . . . على أنها لم تكن حملات العدو الخفيفة هي وحدها التي تأثرت بالتدمير الجوي فقد ترك الايطاليون في بقبق ٨٠ دبابة صالحة للعمل . . .

وكان رومل اذ ذاك يسرع في تقهقره الى غاية ما يستطيع ، وكان تفاؤله قد أغراه بأن يحضر الى قواعد الامامية كميات كبيرة من العتاد الحربي ، واضطر إلى أن يستخدم كل أنواع القوارب لاخلأ هذا من طريق ودرنة وبنغازي ، وقد أغرق الكثير من هذه القوارب ولكنه مع هذا قد نقل الشيء الكثير . . . ولهذا عندما دخلت عربات جنوب أفريقيا المدرعة طريق في الساعة التاسعة صباحا يوم ١٣ نوفمبر لم تجد الا القليل من الالمان لتأسرهم . . .

وفي مساء اليوم نفسه لم يكن للمحور أي جندي شرق الغزاة ، أما آلاي اللانسرز الثاني عشر فقد اندفع من جنوب بير حكيم ، وفي صباح يوم ١٥ وصل أراضي الهبوط في مرطوبة من الغرب بينما وصلها اللواء الرابع المدرع من الشرق ، وهذه الأراضي أهمية خاصة لأنها تسكفل الامداد بوقاية جوية للقوافل التي تعمل على الطريق الى مالطة ، وقد أمر آلاي اللانسرز الثاني عشر بالتقدم الى مرطوبة لجزء من مرحلة الى أبعد من هذا ، ولكن بالرغم من أن رومل كان يسرع في تقهقره فان جيشه كان يزداد قوة كلما اتجه غربا ، فقد التقط خمسين دبابة كانت متروكة في الخلف كاحتياط لقواته الامامية كما تسلم خمسين دبابة أخرى كانت قد أرسلت له على عجل من ايطاليا ، وكانت فرقتا سبازيا وسنتاورو المدرعتان قد انزلتا في طرابلس ، وكانتا تتحركان نحو حدود برقة ولهذا كان رومل كلما استطاع النجاة والتخلص من هذه القوات التي تلاحقه تجدد أمله في الوقوف عند مربضه القديم في اجدابية والعقيلة ، وقد عاونته الامطار التي هطلت بغزارة يوم ١٥ ديسمبر كما عاونته الالغام التي كان يبعثرها خلفه في التخلص من أي تدخل له تأثيره وخطورته ، وفي التاسع عشر من ديسمبر كان قد اجتاز فتوة بنغازي الخطر حيث استطاع وبفل أن يتدخل

في تمهقر الايطاليين ببيدافوم ، كما سحب رومل ستارته الواقية الى اجداية واحتل آلاى اللانسرز الحادى عشر بنغازى فى ٢٠ ديسمبر ، ولكن فى طوال الاسبوع التالى لم تعد المسألة مسألة تدخل ضد قوات العدو المتقهرة بل باتت سؤالاً هو : الى أى حد يمكن أن يسرع الجيش الثامن ليتصل عن قرب بجيش المحور ؟ !

وصل الخط الحديدى طبرق يوم أول ديسمبر ، وفى ١٩ ديسمبر دخلت سفينتان البردية ، وفى السابع والعشرين من الشهر نفسه كانت السفن تستطيع استخدام مينائى طبرق ودرنة ، وفى اليوم الرابع والعشرين دخلت سفينة ميناء بنغازى حيث امكن بسرعة اعادة وسائل التموين والامداد بالاشياء الأخرى غير عتاد الحرب

والواقع أن عمل خدمات التموين هو الذى مكن من أن تصل قوات قوية الى مواقع تمكن من الاحاطة بالعدو فى السابع والعشرين من نوفمبر عندما تم تمهقره الى خطوط العقيلة ، فاذا انتهينا الى بحث توزيع القوات فى ذلك التاريخ وجدنا قوات من الرويالز تقوم بأعمال الدوريات عند بير الصويرة ، ووصل اللواء الثانى والعشرون المدرع الى شرق مرسى بيرجا ، والجيز الى اجداية والفرقة السابعة المدرعة الى عنيتلات ، كما وصل اللواء الرابع الخفيف المدرع ولواء المشاة والهوزارس الحادى عشر الى جنوب مرجون ، وكانت رئاسة الفيلق ٣٠ مع عربات جنوب افريقيا المدرعة وجزء من الفرقة الحادية والخسين فى بنغازى ، كما أن اللواء الثامن المدرع كان يتقدم للأمام ، أما رئاسة الفيلق العاشر فكانت فى التيمى

وكان من الواضح أن رومل لم يكن يأمل فى العودة ثانية بقوة ، ومن ناحية أخرى فان موقع العقيلة كان قويا جدا فان الخط من قارة المحود على

الساحل الى معاطن جيوفر يجرى وراء مستنقعات لا يمكن اختراقها مع حفر عميقة مضادة للديابات على الطريق الساحلى . . أما من المعاطن الى الجنوب حتى يصل إلى مراد فان الخط عبارة عن سلسلة من النقاط القوية وحقول الالغام والأسلاك الشائكة ، وكانت المنطقة من بيرالصويرة حتى مرسى بيرجا مغطاة بمناطق مليئة بالالغام ومواقع محفورة جيداً ، والموقع القوي يجتذب دائماً انتباه القائد الضعيف ، ولو كان رومل قد خطر له أن يترك العقيلة لكان من الضروري أن يسرع هتلر لمعاونة الانجليز من طريق غير مباشر فيأمر بالوقوف فيها ، وقد حدث هذا في آخر يوم من نوفمبر ١٩٤٢ وصل أمر هتلر بالدفاع فى العقيلة لآخر جيدي ، وكان هذا الأمر واحداً من قرارات هتلر التى قوبلت بترحاب ومكنت من تدفق قوات الحلفاء فى تونس ، ثم مرت ثلاثة أسابيع الغى بعدها هتلر أوامره الخاصة بالوقوف فى العقيلة ذلك لأن الخسائر الفادحة التى تكبدتها سفن المحور جعلت من الضرورى حشد كل قوات المحور فى منطقة واحدة من شمال افريقيا .

فى الأسبوعين الاولين من ديسمبر دمرت الغواصات والطائرات ثلث عدد سفن المحور التى أرسلت الى بنزرت واربعة اخماس العدد الذى أرسل الى طرابلس ، ولهذا بات من الضرورى أن تنزع القوات حيث يمكن امدادها عن طريق غير مهدد .

والواقع ان رومل لو كان قد تابع تفهقره يوم ٢٧ نوفمبر لكان قد أنقذ كل قواته . فحتى هذا التاريخ لم يكن الجنرال ليندسل قد استطاع دفع الامداد والتوطين الامام بدرجة تكفى . ، ولم يكن السلاح الجوى ايضا قد استطاع الحصول على اراضى هبوط امامية يمكن استخدامها ، ولهذا فانه لم يكن فى وسع الجيش الثامن ان يقوم بعملية مطاردة قوية ، ولكن لاشك

انه عندما بدأ رومل يتقهقر يوم ١٣ ديسمبر ثانية كانت كل وحدات الجيش الثامن من مدرعة وغيرها على أتم أهبة للملاحقة

وفي ليلة ١١ ديسمبر لم تقابل داوريات الفرقة ٥١ بأية مقاومة أثناء اختراقها مواقع العدو لعمق كبير ، وبالرغم من أن الاستكشاف بقوة الذي بدأ في اليوم التالي ووجه الى بير الصويرة قد قوبل بهجوم ، مضاد فان رومل اخلى بير الصويرة ومرسى بيرجاني يوم ١٣ ، وقد قام الهايلندرز بالمطاردة على الطريق الساحلى وارسلوا قوة لامتلاك بير الصويرة كما قام اللواء الثامن المدرع مع الهوزارس الحادى عشر بالدوران حول جنب العدو وتقدم شمالا نحو العقيلة

وفي اليوم التالى استأنف النيوزيلانديون عملهم لمحاولة التدخل فى تقهقر قولات العدو ، وفي مساء يوم ١٥ قام اللواءان الخامس والسادس بدورة واسعة للجنوب ثم اتجهوا شمالا فقطعوا خط تقهقر الالمان وفي سبيل هذا داروا دورة واسعة فوق منطقة كان المظنون من قبل أنه لا يمكن اجتيازها . . . إلا أنهم أجتازوها وفي صحبتهم آلات ضخمة لوضع معابر على الوديان المتابعة ، وقد استطاع هذان اللواءان قطع مؤخرة العدو التى كان ضمنها بقايا الفرقة الخامسة عشرة المدرعة ومجموعة كبيرة من اللوريات ، وكانت القوات المدرعة مع مشاة الفرقتين ٤٤ و ٥١ تلاحق العدو فى عقبه الى غاية ما تسمح حقول الالغام ، وكان يبدو فى ساعات كثيرة أن مؤخرته يمكن أن تمسك باليد ، على ان القوات النيوزيلاندية - لواء ٦ و ٥ - لم يكن لديها الوقت الكافى لإعداد مواقع قوية تعطل مؤخرة العدو ولهذا استطاع التسرب من ستارنها القوية الى حد ما ، ولم يمكن أسر أكثر من خمسمائة اسير وعشرين دبابة وثلاثين مدفعا

وحدث قتال عنيف آخر في نوفيليا يوم ١٨ ، وكان جيش العدو قد بات
أشبه بمجلة سيارة بها ثقب يتسرب منه الهواء ففي كل مرحلة يمكن تسرب بعض
الهواء... وكان أحيانا يستطيع التوقف للنفخ ، ، ولهذا لم يجذب الهواء من
العجلة قط كما انها لم تنفجر ، إلا ان الرحلة من وجهة عامة لم تكن مريحة...
على أن أول اصطدام حقيقى بعد نوفيليا حدث عند بويراط التى وصلها
رومل يوم ٢٦ ديسمبر وبقى بها حتى ١٤ يناير بلا سبب قوى ، فهو لم يتلق
أية امدادات منذ أن ترك العقيلة ، وكان من الممكن ايضاً الاحاطة بجنب العدو
من الجنوب ، ثم أن غرضه فى الحقيقة كان الوصول الى تونس ، على ان التوقف
فى الواقع لم يفد رومل بشيء . وإن كان كذلك لم يكلفه كثيراً ، وسبب هذا
ان الجيش الثامن كان مرغماً مرة اخرى على تنظيم خطوط مواصلات تموينية
عبر مئات جديدة من الاميال فى منطقة معدومة المياه ، كما أن الغام العدو
كانت كثيرة وكان رفعها يتطلب جهداً كبيراً ، على أنه بالرغم من كل هذه
الصعاب فإن العدو لم يترك فى هدوء . فابان النصف الثانى من ديسمبر كانت
مجموعة دواربات الصحراء البعيدة المدى وجماعات من يومنرى السكس
والسرى تغير باستمرار على خطوط مواصلاته حتى طرابلس ، كما ان
الفرنسيين القادمين من منطقة تشاد كانوا قد بدأوا يقومون بنصيب فى
الحملة... ، فأنشأوا تحت قيادة الجنرال ليكوير قاعدة فى فيزان وقطرون ثم
تقدموا شمالاً فى الثامن من يناير الى سيبيكا بعد أن أسروا ٥٠٠ جندي و١٨
دبابة وعدداً من المدافع

وقد يكون جميلاً ان نذكر هنا موجز العمل العظيم الذى قامت به
قوة تحمل من مسافة ألف وخمسمائة ميل من قاعدتها الاصلية : ففي الرابع
والعشرين اتصل جنود ليكوير بالانجليز فى جاريان ، وقبل ذلك الوقت

اتصلوا بهجاة الجنرال جيرو واحتلوا بمعاونتها غدامس في الثامن والعشرين من يناير ، وكان هذا هو أول اتصال بين الفرنسيين الذين هربوا من فرنسا والفرنسيين الذين حرروا من قبضة المحور

على أن رومل لم يقصد الإصرار على الوقوف مكانه بلا سبب ولهذا فقد بدأ منذ السابع من يناير في سحب مشاته الايطاليين شمالا بغرب ، وقد بقيت وحداته الالمانية مع كل القوات المدرعة في مكانها ، وفي الخامس عشر من يناير كان الجيش الثامن قد اقترب بدرجة تمكنه من متابعة تقدمه العام ، الأمر الذي أرغم العدو على العودة الى التقهقر ببطء تحت ستر عدد من الساقة القوية ، على أنه كان عاقلا في محاولة البقاء شيئا من الوقت عند العقبات الطبيعية القوية لا كتساب أطول ما يمكن من الوقت وإن كان بالرغم من هذا مجدا للوصول الى تونس مع محاولة تعطيل التقدم دون ان يتكبد أية خسارة .

وقد احتلت مزارطة يوم ١٧ يناير ثم حمص يوم ٢٠ ، وفي نفس اليوم وصلت الفرقة السابعة المدرعة في الداخل الى طاحونه ، ولم يحدث أى تدخل جدى لتعطيل تقهقر العدو ورغم القتال العنيف الذى حدث في تلال أم رمل حيث تكبدت كتيبة الجريز خسائر فادحة .

وانتهت كل محاولة لرومل لتعطيل وصول الجيش الثامن الى طرابلس يوم ٢٢ يناير ، وفي الساعة ٥ صباحا يوم ٢٣ يناير دخل النيوزيانديون المدينة من الجنوب كما دخلتها الفرقة الحادية والخمسون من الشرق ، ونال الهوزارس الحادى عشر مرة أخرى شرف السبق في دخول المدينة أمام القوات كلها ، والواقع ان جنود الهوزارس الحادى عشر قد أبقوا سجله التاريخى حافلا فقد اشتهروا في الدفاع عن كاليه وعن كورينثوس في بلاد اليونان ..

ثم في هجوم اوكنك وحول جسر القرمسان

والحق ان سقوط طرابلس بعد ثلاثة شهور من ابتداء القتال في العدين يصلح ليسكون خاتمة موفقة لقصة تاريخ الجيش الثامن ، في المرحلة الثانية من تاريخه ولو أن الواقع هو ان اربعة عشر يوما اخرى مرت قبل ان يتسنى تطهير الامبراطورية الايطالية في افريقيا من آخر جندي للمجور .

على ان الجيش الثامن قد قاتل بعد ذلك في معارك ناجحة كثيرة كمعركة خط مارت ووادي عكاريت ولكن منذ العشرين من فبراير كان يعمل ضمن المجموعة رقم ١٨ وبدأت خطته الاستراتيجية تعد في الجزائر بدلا من القاهرة . . .

(وهذه هي الحلقة الثالثة في حياته والتي تقدمها في جزء تال يصدر قريبا ان شاء الله) ...

على انه قد يكون جميلا ان تلخص هنا كيف آسنى للجيش الثامن إحراز هذه الشهرة الفائقة التي يتمتع بها ، ففي قتال استمر ثلاثة شهور ونصف أدركت هذه القوة الصغيرة نصراً حاسماً ، وقطع الجيش ١٤٠٠ ميلا فوق ارض تثير الرعب والخوف والدهشة وكبد العدو خسائر بلغت ٧٥٠٠٠ تم انه لم يدمر جيوش العدو فحسب بل هدم امبراطورية وقضى على شهرة افراد كثيرين اولهم رومل

كما ان الجيش الثامن تمكن من حل مشكلة قديمة هي مشكلة تموين عدد كبير من الوحدات التي تتقدم بسرعة مع استخدام طريق جيد واحد لقوافل التموين .. فطوال هذا الامد لم يفتقر الجيش قط الى المياه أو الاغذية أو الذخيرة أو الوقود .. ولا حتى ابدال دبابات بالدبابات المعطلة .

وقد نسي له ان يتفوق على العدو بدرجة ساحقة في نقط ثلاث رئيسية

في الفن العسكري : أولها استخدام المدرعات ، وثانيها التعاون بين الجو والارض وثالثها استخدام المدفعية .. والواقع انه قد لا يمكن اعطاء بيانات تفصيلية عن كيفية حشد بطاريات المدفعية والسيطرة عليها ، ولكن الواقع ايضا ان القيادة الانجليزية قد انتفعت إيماء انتفاع من تطبيق اصول الحرب في ضوء الاسحلة الحديثة لتربط الحاضر بالماضي وكان هذا جديداً في هذه الحرب . ١ .

ولا ينبغي ان نغفل ان انتصارات الجيش الثامن قد بددت في الهواء الشهرة التي كانت قد نالتها العبقرية العسكرية الالمانية في روسيا ، وليس هناك ما يمكن ان يضاف الى مجد الجيش الثامن اكثر من إصرار المارشال ميسو القائد الايطالي العام في تونس على التسليم للجيش الثامن وحده وحده لا لآي فرد آخر ...

وقد قال المستر تشرشل في خطبته للجنود يوم ٣ فبراير في طرابلس :
« لقد قدمتم خدمة جليلة لوطنكم ولل قضية المشتركة . وأن اعمال الجيش الثامن ستبقى لامعة مضيئة في سجل التاريخ ، ان ايام انتصاراتكم لن تصل الى نهاية . . . »

وقد كان هذا حقاً كما انه سيكون !!

على نحو ماسيري القاري في الجزء الثاني من هذه السلسلة
فالى اللقاء القريب . . .